روايات مصرية للجيب

زهور

111

دموع السماء



فوزي عوض

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر

فيعود إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

إهداء خاص

إلى المدينة التى منحتنى الحياة ..

مدينة 6 أكتوبر ..

شكراً لإدارتها ..

وشـــرطتها ..

وشــــعبها ..

شكر خاص إلى صديقى محمد عبد المولى

فـوزى

الفصل الأول

غمر (داليا) إحساس لذيذ بأن هذه الشمّوسة لم تكن يومًا بهذه الروعة والرقة والنعومة .

غمرها هذا الإحساس بمجرد أن فتحت نافذة غرفتها ، لتجد شمّوستها الجميلة تفرش ضيّها الذهبى الشفاف بمنتهى الرقة والنعومة فوق عشب وشجيرات وورود حديقتها الحبيبة المتربعة أمام نافذتها فى وداعة وروعة وفتنة الحوريات ..

وحديقة (داليا) فى نفس سنّها ..

ومثلما رسمت الأيام (داليا) على مهل ، وبمنتهى الإبداع ، رسم بابا (نور) حديقتها بيده وبقلبه نبتة نبتة .. وشجرة شجرة .. ووردة وردة .. ولم يتوقف يومًا على مدى اثنين وعشرين عامًا عن تنسيقها وتصفيفها وتجميلها وريّها ، وكأنها توأم (داليا) ، وشريكتها فى قلبه .. إنه يكاد يحبها بنفس قدر حبه لابنته الوحيدة الفاتنة ، حتى إنه ربط اسميهما بقاسم مشترك ، فصارت ابنته (داليا) ، وصارت حديقتها الفاتنة (داليا الملونة) ، وكأنما أراد أن يؤكد لكل من تكتحل عيناه بـ (داليا الملونة) أنها توأم (داليا) فى الحب وفى الجمال ، وحتى غدت الأخيرة ترى نفسها فى تنافس موصول مع الأولى

على اعتلاء عرش الجمال فى عينى بابا (نور) ، وعرش الحب فى قلبه ، ومن هنا كان تساؤل (داليا) وهى تسرى بنظراتها المفتونة على صفحة (داليا الملونة) وقد تجلّت كل مفاتنها بمنتهى الجرأة تحت غلالات الشمّوسة الشفافة :

- ترى أيّتنا أجمل فى عينيك يا بابا (نور) أنا أم (داليتك الملونة) هذه ؟

وانسابت ابتسامة (داليا) فوق شفتيها ، وكأنها فوجئت بغيرتها من حديقتها الحبيبة ، وأسرعت تلملم نظراتها الغيور من فوق مفاتنها ، ثم استدارت بحيويتها الفياضة مغادرة الغرفة ، فإذا عينا (بوجى) تستوقفانها معاتبتين .. أسرعت تلتقطه فى حضنها وتقبله ، هامسةً له من قلبها :

- آسفة . يا ديدوبى السمين .. آسفة .. كيف نسيتك ؟ صباح الفل .. صباح الفل على عيونك ، وعلى خدودك ، وعلى شفايفك ، وعلى كل ما فيك يا أجمل (بوجى) فى الدنيا .

وراحت تسرّح له شعره القطنى بأصابعها حتى اطمأنت إلى أنه سامحها وصفح عنها ، فروته بقبلة أخرى على خده ، وأعادته إلى الفراش ، واستدارت مغادرةَ الغرفة .. فرغت من حمّامها ، ونزلت إلى غرفة الطعام ، حيث كان أبواها اللواء (نور الدين)

والدكتورة (بثينة) يجلسان إلى مـائدة الإفطـار فى انتظارها .. حَيَّتهما بقبلاتها ، وبشقاوتها اللاذعـة :

- صباح الفل يا (نور) .. صباح الفل يا (بوسى) .

وتلقت الرد من بابا (نور) وهى تجلس إلى جواره :

- صباح الفل يا صاحبة أجمل عيون فى الكون .

وكان ردها مبتسمة وهى تقرِّب صحن العسل الأبيض منها :

- ليست أجمل من عيونك يا (نور) .

وبدأت إفطارها معهما .. وكعادته أصر بابا (نور) ألا تترك (دالبته) قطرة واحدة من وجبتها المقررة من العسل الأبيض ، وكعادتها وجدت (دالبته) نفسها تناوشه :

- 22 سنة عسلاً يا (نور) ؟! جعلتنى نحلة !

وكان رد بابا (نور) باعتزاز :

- نحلة ملكة .. فالعسل غذاء ملكات النحل فقط .

وجاءت مداعبة الدكتورة (بثينة) للواء (نور الدين) :

- يا خوفى عليك من نحلتك هذه يا جنرال .

وجاء تساؤل (داليا) سريعًا :

- ما هذا يا (بوسى) ؟! محاولة وقيعة بينى وبين (نور) ؟!

وكان رد الدكتورة وهى تضع قطعة أومليت فى فمها :

- ومن يستطيع ؟ إنكما مثل البصلة وقشرتها .

كاد العسل يرتد من حلق (داليا) وهى تكتم ضحكتها بيدها من تشبيه أمها أستاذة الجامعة ، بينما ارتسمت على شفتى بابا (نور) ابتسامته الساحرة ..

إنه لواء بالجيش .. وَهَبه ربُّه باقةً من أجمل نعمه .. الوجاهة والقوة وروح الشعراء ، فبدا فى بدلته الميرى ، وبنياشينه المثبتة على صدره ، وبرتبته الذهبية المفرودة على كتفيه كفارس من أبهى فرسان زمن الفروسية الجميل ، وهو ما جعل (داليا) تتأمله فى زهو باسم ، حتى إذا ما فرغ من إفطاره ، بادرته بابتسامتها الفاتنة :

- أنا جاهزة يا جنرال .

ونهضت مقبِّلة أمها :

- باى يا دكتورة .

ـ باى يا حبيبة ماما .

ومضى اللواء (نور الدين) و وحيدته الفاتنة مغادرين الفيللا .. يتأبط كلاهما الآخر ، كفارس وغادته المتوهّجة بفتنة مـا حظيت بها أنثى على الأرض ..

حتى إذا ما ظهرا ببـاب الفيللا ، أسرع السـائق المجند بفتح البـاب الخلفـى لسيارة الجيش ، مستقبلاً سيادة اللـواء بالتحيـة العسكرية ، فكان رد الأخير على تحيّته :

ـ صباح الخير يا (ماجد) .

ـ صباح النور يا افندم .

وأغلق الجندى باب السيارة على اللواء وابنته ، ثم أسرع إلى مقعده متحركًا بالسيارة ، فـى حين انشـغل اللـواء بإشعال أولـى سجائر يومـه ، حتـى إذا مـا أخذ نفسًا متأنيًا منهـا ، نظر إلى الجندى قائلاً فى حب :

ـ ستوحشنا يا (ماجد) .

وكان رد الجندى الوسيم وهو ينظر أمامه إلى الطريق :

ـ بل سيادتك الذى ستوحشنى أكثر يا افندم .

وعاد اللواء يـأخذ نفسًا آخر مـن سيجارته ، ثـم التفت إلـى (داليا) قائلاً :

ـ (ماجد) خدمته انتهـت ، وسيتركنا آخـر الشـهر ، وأظنـه سيوحشك أنتِ أيضًا يا نحلتى .

وإذا بـرد النحلـة بابتسـامة اطمئنـان وهـى تتبـادل النظـر مـع الجندى الوسيم عبر المرآة الأمامية :

ـ لا أظن يا سيادة اللواء .

فُوجِئ اللواء :

ـ لا تظنين ؟!!

ولكن دهشته ما لبثت أن تلاشت لتحل محلها ابتسامته السـاحرة .. فقد تأكد له ما كان يستشعره .

* * *

الفصل الثانى

بالكاد انفلتت (داليا) من شلتها بمجرد أن أنهت مكالمتها .. اندفعت تركض صوب بوابة الجامعة .. يشيّعها هتاف زميلها الذى يبدو من فرط طيبته كطفل كبير :

ـ إلى أين يا نحلة ؟

ـ راندفو يا (بوّب) .

وقفزت خارج البوابة متلفتة يمينًا ويسارًا بمنتهى اللهفة ، حتى إذا ما وقعت عيناها على ضالتها انسابت ابتسامتها الفاتنة فوق شفتيها فى سعادة طاغية ـ ولم تكن ضالتها التى طارت بقلبها سوى (ماجد) الواقف على بعد أمتار قليلة فى قمة أناقته وبهائه .. أسرعت إليه دون أن ينتبه لها ، حتى أمسكت بيده هاتفة بقمة فرحتها :

ـ عسكور !

التفت إليها بابتسامته المضيئة التى تضىء وجهه الخمرى النضر :

ـ نحلتى !

ـ ما هذه المفاجأة المسّولة يا عسكورى ؟

ـ البركة فى سيادة اللواء .. فوجئت به بمجرد أن وصلنا الوحدة يمنحنى الأيام العشرة الباقية لى فى خدمتى إجازة .

ـ يا له من جنتل !

ـ ويا لك من عسّولة يا نحلتى !

ـ ليس هنا يا عسكورى .. خذنى بعيدًا عن جيوش العيون هذه ، ثم أشبعنى غزلاً .

أسرع يستوقف (توك توك) ، قائلا لسائقه :

ـ دايموند .

من جامعة (مصر للعلوم و التكنولوجيا) إلى السنتر الشهير بمدينة 6 أكتوبر لم يستغرق الـ (توك توك) سوى بضعة دقائق ، جلست بعدها النحلة أمام حبيبها فى كوفى شوب (سيلنترو) تلتهمه بعينيها فى نهم ، وكأنها كانت محرومة منه من سنين ، بينما حبيبها يتأملها مفتونًا بشقاوة عينيها السوداوين اللامعتين اللتين تشعلانه افتتانًا بهما كلما نظر إليهما .. حتى وجد نفسه يهمس لها مشدوهًا :

ـ مستحيل !

وكان سؤالها وهى تزداد غوصًا بشعاعى عينيها العجيبتين فى عينيه :

ـ ما هو المستحيل يا عسكورى الجميل ؟

ـ سحر عينيك يا نحلتى .

ـ أتراهما جميلتين فعلاً يا (ميجو) ؟

ـ أراهما أجمل عيون فى الكون .

ـ أتعرف لماذا يا حبيب عيونى ؟

ـ لماذا يا نحلتى ؟

ـ لأنك تسكنهما .

رفرف قلبه .. ووجد نفسه يزحف بنظراته المفتونة علـى وجهها ، زحف الفراشات على خدود الورد ، حتى انفلتت همستها من قلبها :

ـ آه لو كان بيدى أن ألملم نظراتك هذه يا (ميجو) .

ـ ماذا كنتِ ستفعلين بها ؟

ـ كنت سأرسم بها الكون من جديد ..

أرسمه ورودًا وأنهارًا وقصورًا ..

وعصافير تغرّدُ على أغصانها ..

ونوارس تمرح فى فضائها ..

ونجومًا تلمع فى سمائها ..

وبدرًا يحرس خلوات العاشقين ..

و ....

وأسرع (ميجو) يقاطعها ضاحكًا بمنتهى الدهشة :

مهلاً مهلاً يا نحلتى .. ما هذا كلّه ؟! أبمقدورك أن تفعلـى بهـا كل هذا ؟!

ـ وأكثر مليون مرة من هذا ..

ـ إذن فخذيها بسرعة .. كلها لك .

ـ بل خذ أنت عيونى يا (ميجو) لترى بها جنتى معك .

ـ أرى جنتك .. نعم ، لكن آخذ عيونك ، أجمل عيون فى الكون .. واسعة حبتين !

وإذا بردّ النحلة من قلبها :

- أتصدقنى يا (ميجو) إذا ما قلت لك إنها أمنيتى ؟

ضربت الدهشة (ميجو) :

- أى أمنية يا مجنونة ؟!

- أن أهديك إحدى عينى يا حبيب المجنونة لترى بها الحياة كما أراها .. جنة ! جنة يا حبيب عيونى وأنت معى .

طغت دهشة (ميجو) :

- ولأنك ترينها جنة ، تمنحينى عينك ؟!

- وعيناى الاثنتين إن شئت .

- إذن فأنت مجنونة فعلاً يا نحلة .

- جنون الحب يا (ميجو) .. جنون الحب .. فلا فتاة .. ولا امرأة .. ولا قلب واحد فى هذا الكون أحب مثلما أحببتك .

- و مازلت ؟!

- وإلى الأبد يا حبيب عينى .. إلى الأبد ..

وذاب قلب (ميجو) .. أسرع يضم يديها الرقيقتين فى يديه ، ضمة طائر رهيف انفتحت عليه فجأة جنة الحب ، فضرته عبيرًا

ورحيقًا ونفثات وجد أخذت بكيانه .. انسابت همسته من قلبه وهو يكاد يلتهمها بعينيه :

- أحبك يا نحلة .. أحبك ..

- إذن تزوجنى فورًا يا أجمل دبور .

أخذته قذفة المفاجأة ، فسكنت عيناه على عينيها ، لا يدرى بماذا يجيبها ، حتى تحركت دهشتها :

- ماذا يا عسكورى ؟! ألديك مشكلة فى أن تتزوجنى ؟

انتزع جوابه من براثن دهشته :

- نعم يا نحلتى .. لدىَّ مشكلة .

- ما هى ؟!

- أننى مازلت عسكورًا .

- خدمتك انتهت .

- انتهت لأبدأ من الصفر .. فلا شقة .. ولا عمل .. ولا أموال .. ولا شىء سوى موهبتى اليتيمة

- موهبتك ليست يتيمة يا (ميجو) .. موهبتك رائعة ، وبها ستأتى بالعمل وبالشقة وبالأموال .

ـ إذن العقل يقول بأن نأتى بها أولاً ، ثم نفكر فى الزواج .

ارتدت دهشتها :

ـ وتريدنى أن انتظرك حتى تأتى بها أولاً ؟! أكون كرهتك .

انفجر ضاحكًا ، فكان سؤالها فى دهشة :

ـ علام تضحك ؟!

ـ على نذالتك يا فتاة .. من لحظات فقط وعدتنى بأن تظلى غارقة فى حبى لشوشتك إلى الأبد .

ـ وكان جوابها بمنتهى السرعة والتنمُّر :

ـ وأنت معى ، لا وأنت تقتلنى انتظارًا يا جنتل عصرك وأوانك .

ـ والحل إذن يا نحلة ؟

ـ الحل أن تتزوجنى .. وتعمل .. وتنجح .. وتكسب فى وقت واحد .

مرة أخرى انفجر ضاحكًا ، وهو يحدق فيها مبهوتًا ، فما كان منها إلا أن انتظرته حتى فرغ من ضحكه ، ثم سألته بهدوء عجيب :

ـ أفرغت ؟

ثم ختمتها بثقة أكثر عجبًا :

ـ ورحمة أمك التى لم أرها يا عسكور سيتحقق كل هذا بمجرد أن تسلِّم مخلتك !!!

* * *

الفصل الثالث

على امتداد خمس ساعات ، هى زمن رحلـة القطـار مـن (القاهرة) إلى (المنيا) ، لم يخرج (ماجد) من جنة الحلم الذى وعدته به حبيبته ..

يتزوج حبيبته ..

ويعمل ..

ويفتح بيت ..

ويصير مصمم أزياء ..

ورب أسرة ..

وصهرًا لعائلة (نور الدين) !!

ويفوز بحياة رائعة بهذه السهولة !!

كيف ؟!!

كيف ؟!!

حتى ركوبه القطار من محطة (مصر) وهو يحاول مع نحلته فى أن يعرف منها كيف سيحدث هذا ، فكان جوابها الذى لم يتغير :

ـ ستعرف فى وقته .. كل ما عليك أن تأتى بأبيك .. الحاج (حسين) ، وأختك الدكتورة (صباح) كى تطلبونى من بابا و ماما .. أنا فى انتظارك .

معقول !

معقول أن تكـون هذه الفتاة محتفظـة بعصـا (موسى) !

خرج من محطة قطار (المنيا) ليستقل (التوك توك) إلى بلدته (ملوى) ، تشده لهفته الطاغية لاحتضان أبيه وشقيقته .. هاهو يعود اليهما بهديتين كلاهما أجمل من الأخرى .. الأولى : إنهاؤه خدمته العسكرية برجولة وشرف .. والثانية : دعـوة حبيبتـه الجميلة بنت الأكابر لهمـا لطلب يدهـا .. يـا لهمـا من هديتيـن ستطيران بقلبـى أبيه وأختـه ، وسترفعان رأسيهما مثله وسط أقاربهم الذين يملئون (ملوى) .. أولئك الأقارب الذين انقسموا فـى معاملتهم له ولأبيه وشقيقته على مدى سنوات طويلـة ما بين مستهزئ ومشفق .. المستهزئون جاء استهزاؤهم غطاء لحقدهم وغيرتهم المريضة من نبوغ الابنين الفقيرين الذى وصل بـالولد إلى كلية الفنون الجميلة ، وبالبنت إلى كلية الطب ، ومكنهما من التخرج فى الكليتين بتفوق ، محققين بذلك ما عجز عنه أبنـاء أعيـان العائلـة والبلدة كلها ، الذين وُلدوا بملاعق من ذهب فى أفواههم .. وكان ذلك

كافيًا لإثارة حقد هؤلاء المرضى بسواد القلوب على الابنين وأبيهم ، فكان استعلاؤهم واستهزاؤهم اللذان لم يكفا يومًا .. أما المشفقون فقد جاء إشفاقهم على الأب من ظروفه الوعرة إذ هو رجل فقير لا يملك سوى صحته التى يخدم بها أهل البلدة بالأجر .. وهؤلاء كثيرًا ما كان يغلبهم إحساسهم هذا بالشفقة على الرجل . فينصحونه بعدم التمادى فى تعليم ابنيه ، حتى لا يظلم نفسه بتحميلها فوق طاقتها . فكان رد الرجل عليهم دائمًا ابتسامة شكر على نصيحتهم ، ثم العودة إلى ابنيه وقد اشتد إصرارًا وعزيمة .. لقد كان الرجل فى داخله أقوى كثيرًا مما كان يبدو عليه ..

كان فى داخله جبلاً لا تفت فيه معاول ، ولا تهزّه عواصف .. وكان يربطه بربه إيمان عميق ، جعله يطمئن اطمئنانًا مطلقًا إلى كرمه معه فى نهاية المشوار ..

أما العجيب حقًا فى أمر الرجل ، فكان فى ذلك الحلم العجيب ، الذى ظل يحتفظ به فى أعماقه طوال مشواره المضنى مع الابنين ، والذى لم يكن لمخلوق أن يعلم به سواه .. الحلم بأن يرفعه هذان الابنان يومًا من عالم الخدم إلى عالم الأسياد .. فلم تخلق بعد النفس البشرية التى ترتضى الهوان وإن أُكرهت عليه حينًا من الدهر ..

ومع تقدم الابنين فى دراستهما .. ومع تأكيد نجاحهما المتواصل على نبوغهما راح الحلم الدفين يُشعشع داخل الرجل ، فيزيده عزمًا .. ويزيده أملاً .. ويزيده لهفة ..

حتى بدأت تظهر للحلم عظامًا ، وراح يكتسى لحمًا ، وراحت تتدفق فيه الدماء والأنفاس ، متحولاً إلى حقيقة هاهو ابنه يعود بها على طبق من ذهب ..

ـ تستحقها يا حاج حسين .. تستحقها .

هكذا انسابت التهنئة داخل (ماجد) وهو يعانق بعينيه شوارع وبيوت وناس (ملوى) بمنتهى الحب والفرحة من داخل (التوك توك) المنطلق به حتى تلقّاه أبوه فى حضنه بالدموع ..

حضن طويل .. طويل ..

طويل بطول المشوار ..

بطول شقاء أيامه ، وعذاب لياليه ..

وبطول أشياء أخرى كثيرة قاسية على النفس ..

وظل الرجل معتصرًا ابنه فى حضنه بالدموع ، حتى ارتجفت أطرافه . فأسرع بإقعاده بكنبة الأنتريه بمنتهى الحنو ..

وجاءت الدكتورة (صباح) ركضًا من مستشفى (ملوى) ، لتعتصر شقيقها الحبيب فى حضنها . وحينما جلست إليه مع

أبيها ، وعلما بما عاد به . كادت الفرحة تذهب بعقل الأب ، فـي حين أسـرعت الدكتـورة تهتـف بمنتهـى الفرحـة والزهـو . وهـى تهب واقفة من بينهما تهتف :

ـ هؤلاء هم أبناء الحاج (حسين أبو الروس) .. هؤلاء هم .

فـى حين راح الأب يتأمل ابنـه من وراء دموعـه المتدفقـة ، حتى وجد نفسه يقول له بصوت يرتجف مثل أطرافه :

ـ شكرًا يا بنى .

ذهش (ماجد) قائلاً :

ـ شكرًا علامَ يا حاج (حسين) ؟!

وكان رد الرجل بدموعه ، وبمنتهى الامتنان :

ـ على تحقيقك الحلم يا بنى .. على تحقيقك الحلم .

ولم يفهم (ماجد) شيئًا ، فالتفت إلى الدكتـورة بدهشـته ، ولكنها لم تكن معهما . كانت غارقة فى فرحتها :

ـ طبعًا يا عسكور ، الجيش أعادك لنا ميّتًا من الجوع .

وجاء الرد سريعًا باسمًا :

ـ ومن الحرمان يا طبيبة .

ذهش الحاج (حسين) :

ـ حرمان ممّ يا بنى ؟

ـ من (المم) البيتى يا حاج .

وكان رد الدكتورة بسرعة :

ـ هكذا ؟! إذن انتظرنى ساعة واحدة فقط ..

وأسرعت تركض إلـى المطبـخ ، وهـى تخلـع عنهـا جاكتهـا ، بينما التفت (ماجد) إلى الحاج (حسين) قائلا بتبسّمه :

ـ لى عندك ثأر منذ أربعين يومًا يا حاج (سحس) .

تسابت ابتسامة الحاج :

ـ وهل بمقدورك أن تأخذه ؟

ـ فلنجرّب .

وأسـرع (مـاجد) بإحضـار الطاولـة من فوق التليفزيـون ، وجلس أمام أبيه بادئين لعبهما .

* * *

الفصل الرابع

إلى ذلك المكـان الأثير إلـى قلبـه ، والمفعم بذكريات طفولتـه وصباه ، جاء (ماجد) على جناحى حنينـه وسعادته .. وقف على حافة المصرف الذى يشق حقول القرية ، والذى تصب فيها فائض ريها ، والـذى طالمـا تمتع بصيد أسماكه مـع الرفـاق .. وقف يمد نظراته الظمـأى فوق بساط الخضرة المترامى أمامـه ومن حوله فى عناق روحى حميم تغذيه خفقات القلب المبتهج .. سحر الخضرة تحت غلالات ضى الغروب الفضـى مـع عبـق أنفاسـها الطازجـة أيقظا فيـه كل أحاسيسه العذبــة .. إحساسـه بالجمـال .. وبالصفـاء .. وبـالحب .. وجد نفسـه يُغمض عينيـه ساحبًا نفسًا عميقًا من هذا العبق الفردوسى الطازج ، غاسلاً بـه رئتيه من أدران أربعين يومًا فـى العاصمـة المصبوغة تلوثًا .. ومع ارتـواء عينيه وقلبه .. ومع اغتسال صدره وكيانه كله وجد نفسه يتذكر الحبيبة ..

النحلة !!

هاهى تخرج من هذه الجنة حورية تتلألأ جمالاً .. هاهى تقبل عليه ركضًا كحلم مغزول من قطوف الـورد .. كفرحــة عمـر مرسومة فـى هيئـة الحوريات .. كخفقـة قلب شاردة من فـرط

ولهها .. رفرف قلبه يريد أن يقفز إليها من بين الضلـوع .. كـاد يصدق أنها حقيقـة لا خيـال .. انسـابت همسته من قلبـه وهـو يعانق الطيف الملائكى المقبل عليه ركضًا :

ـ وحشتينى ..

إيمان مطلق غمر قلبه بأن همْسته غزت قلب الحبيبة توًا على البعد ، فتبسّم فى رضـا ـ فجأة جـاءه من خلفـه صوت حقيقـى لا خيال :

ـ حمدًا لله على السلامة .

التفت إلى (مى) .. حسناء (ملوى) التى لا تسلم من عيـن ولا لسـان افتتانًا بأنوثتها المتوهّجة كجمـرة نـار ، خاصـة فــى ملابسها الصارخـة بجرأة لا تناسب أبدًا البيئـة الصعيدية التـى تعيش فيها .. انفلتت منه ابتسامته البريئة التى تخونه دومًا كلمـا جاءت عيناها فى عينيه :

ـ الله يسلمك .

انسابت ابتسامتها هى أيضًا :

ـ (ملوى) كلها نوّرت ..

ـ شكرًا يا قمر (ملوى) .

استوقفتها إشراقة وجهه . وطيوف الحب المتلألئة فوق ملامحه . فكانت مناوشتها له :

ـ ألمح على وجهك أعراضًا شهيرة !

ازدادت ابتسامته إشراقًا :

ـ أى أعراض يا خبيرة ؟

ـ أعراض حب جديد يا ولهان باشا .

ـ أنا لم يكن لى حب قديم .

ـ حتى أنا ؟!

خرجت من شفتيها على جناح نظرة ساخنة تتلذذ بالتحدى . فكان رده فى تبسّم وصدق :

ـ أنتِ طوال عمرك صديقتى الأنتيم يا عود الأبنوس ، وبما أن للصداقة فى القلب عرشًا مثل عرش الحب ، فأنتِ الملكة المتوّجة على عرش الصداقة فى قلبى .. وبلا منازع .

وكان رد الفتاة الفاتنة بمنتهى الامتنان والصدق :

ـ وهذا يكفينى يا (ميجو) .

والتفتت إلى شجرة ورد بلدى على يمينها .. قطفت منها وردة بيضاء ، وناولتها له قائلة :

ـ ويا ترى ملكة عرش الحب فى قلب (ميجو) حلوة ؟

أخرج موبايله من جيبه ، وفتحه على لقطة لحبيبته وهى تقول له (أحبك) ، وناوله لها فلم تملك إلا أن تطلق هتفتها المعتادة وهى تتأمل الحبيبة :

ـ ياااى !! عسّولة!

ـ ابنة لواء فى الجيش .

أعادت إليه الموبايل :

ـ أنت تستحق كل خير يا (ميجو) .

ثم بمنتهى الحب :

ـ لو كنت مكانك لخطبتها فورًا .

ـ من المفترض أن أفعلها بعد غد .

دهشت :

ـ ولماذا من المفترض ؟! لماذا لا تفعلها ؟!

انطفـأت نظـرته بمسـحة ألم ، فاسـتدار مرسـلاً بصـره إلـى خط تلاقى السماء مع بساط الخضرة فى نظرة قـالت مـا تحرج لسـانه عـن النطق به .. وفهمت الصديقة اللبيبـة .. فمـا كـان منهـا إلا أنهـا أدارته نحوها بيدها ، متلقية إياه بابتسامة تقطـر عذوبة وحنواً ، ثم إذا بها تخرج من جيبها فيزا كارد ، وتمدها له قائلة :

ـ فيها أربعة آلاف جنيه .. روّش بها نفسك أنت والدكتـورة (صباح) وعمو (حسين) بأحلى ملابس ، وخذ معك أحلى شيكولاتة ، وأحلى ورد ، ولا تعد من عندها إلا وأنـت قـارئ فاتحتها ، ومحدد موعد زفافكما .

و فوجئ (ماجد) ..

فوجئ .. لا بالنقود ، وإنما بموقف الفتاة الذى شف عن أروع وجه للصداقة .. وجـد نفسـه يتأملهـا بإكبـار طـاغٍ بلـغ حـد الدهشة ، وهو يقول لها من قلبه :

ـ أنتِ بنت بألف رجل يا (مى) .

انفلتت ضحكتها :

ـ يا بنى بنات حواء تفوقن على الرجل فى كل شىء حتى فـى الرجولة .

ثم أردفت بابتسامتها الرائعة :

ـ خذ من يدى يا بكّاش باشا .

همّ بأن يمد يده ، ولكن نفسـه لم تطـاوعه ، فما كـان منها إلا أنها وضعت الفيزا كارد فى يده عنوة قائلة :

ـ لا تكن خائبا يا (ميجو) .. نحن أصدقاء ، أم تراني لا أستحق صداقتك ؟

وجاءها الرد سريعًا ، و بمنتهى الاستنكار :

ـ (مى) ! كيف تقولين هذا ؟ ألا تعلمين أننى أتباهى بصداقتـك حيثما كنت ؟

ـ إذن اعمل بهذه الصداقة .

ولم يملك (ماجد) إلا التبسّم قائلاً :

ـ أمرك يا أجمل وأروع صديقة .

ودس الفيزا كـارد فـى جيبه ، وهمّ الصمت بـأن يفصلهمـا ، فأسرع هو يقطعه بسؤاله :

- ما أخبار (منعم) ؟

وكأنه بسؤاله هذا صفعها على وجهها .. انطفأت ابتسامتها فجأة ، بل واصطبغ وجهها كله بكل مرارة الدنيا ، فانفجر قلقه :

- (مى) ؟! ماذا هناك ؟

وجاءه الجواب مغمورًا بالمرارة .

- (منعم) راح يا (ماجد) .

فوجئ (ماجد) :

- راح ؟!

- نعم .

- أين راح ؟!

- راح منّى .

- كيف ؟

- أولاد الحلال لعبوا فى رأسه .. أفهموه بأنى طامعة فى أمواله التى ورثها .

- وصدقهم ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، ثم أكملت جوابها بطوفان مرارتها :

- حضراتهم نسوا ونسى هو أيضًا معهم بأننى بنت رجل أعمال وأن مجوهراتى فقط تساوى ما ورثه كله .. وربما تزيد .

وأطبقت عليها مرارتها حتى كادت دموعها تخونها ، فاستدارت مرسلة نظراتها المذبوحة إلى بقايا حمرة الشمس المتناثرة فوق صفحة الأفق كآثار دماء لصريع رحل .. انسابت دموعها .. وانسابت همستها النازفة ألمًا لا يُحتمل :

- آه لو يعلم هذا الرجل كم أحبه !

وانسابت الدموع العزيزة حاملة أنّات القلب الذبيح ، فلم يُملك الفتى إلا أن يواسى صديقته بمنتهى الحنو ، مرددًا :

- سيعود إليك يا (مى) .. (منعم) سيعود إليك .

* * *

الفصل الخامس

ـ نور !

ـ نعم يا نحلة (نور) ؟

ـ نحلتك تحب .

لمعت عينا اللواء الوسيم بتلك اللمعـة الباسمة الساحرة وهو يتطلع إلى القمر الواقف قبالتهما مكتملاً ناصعًا بهيًا ، بينما نحلته ساكنة فى حضنـه ، وهو يجلس بمقعده المفضل فـى شرفـة غرفته المطلة على حديقة الفيللا ، وحينما لم يأتها منه جواب ، أردفت معاتبة :

ـ ما هذا الصمت يا (نور) ؟! نحلتك تخبرك بأنها تحب .

سرى بأصابعه فى ذيل شعرها الفاحم المسترسل علـى ظهرها حتى خصرها ، ودون أن يسحب نظراته الباسمة من فوق وجه القمر سألها بلهجته الرومانسية العذبة :

ـ من يكون هذا المحظوظ ؟

ـ شبل من أشبالك يا جنرال .

ـ من ؟

راحت تعدد له :

ـ ولـد نابغـة .. ومكـافح .. ومتكيّـن .. ومحـترم .. وطيـب ـ وحنون .. ويحبك جدًا جدًا جدًا .

انفلتت ضحكة اللواء الوسيم رغمًا عنه ، ثم جاء رده :

ـ لو وُجد على الأرض ولد بكشف المزايا هذا لزوجتك لـه فورًا .. ولو رغمًا عنه .

وكان رد النحلة بسرعة :

ـ موجود .. موجود يا (نور) .. وهو الذى يتمناك .

ـ (ماجد) ؟

خطفت رأسها من فوق صدره ، ناظرة فى عينيه :

ـ ما هذا يا (نور) ؟! أتتجسس علىّ ؟!

انسابت ابتسامته العذبة فوق شفتيه :

ـ وهل كان الأمر يحتاج إلى تجسس ؟ لك أعداء لا يكتمون لك سرًا .

ضربتها الدهشة :

ـ من ؟!

- عيناك يا نحلة .. ما من لحظة جمعتك بهذا الدبور المحظوظ أمامى إلا وهمست له عيناك الشقيتان هاتان بكلمة (أحبك) .

طفت دهشتها :

- إلى هذا الحد ؟!

- اسأليهما .

لم تملك النحلة إلا التبسم وهى تهز رأسها عجبًا .. ووجدت نفسها تسأله بدهشتها :

- والحل يا (نور) ؟!

- الحل فى ماذا ؟

- فى هذه المشكلة .

- أى مشكلة يا نحلة ؟! مشكلة عينيك الفاضحتين أم مشكلة الدبور المحظوظ !!

- مشكلتى أنا يا (نور) .. مشكلتى أنا .. أنا الذى أحب وغارقة فى الحب حتى شوشتى .

- وهل هذه مشكلة ؟ المشكلة عنده هو يا نحلة .

- أى مشكلة يا أنتيمى ؟!

- ظروفه .. إنه خارج لتوه من الجيش صفر اليدين .

- 80٪ من شباب (مصر) الآن صفر الأيادى يا جنرال .

- كيف يتزوجون إذن ؟

- بقليل من الرأفة من الجنائل أمثال سيادتك .

انسابت ابتسامة الجنرال فوق شفتيه مرة أخرى ، بينما أردفت هى :

- أم نتركهم محرومين من أقل حقوقهم فى الحياة لمجرد أنهم فقراء ؟

ثم استطردت متعمدة إحراجه :

- و إذا ما فعلنا أتكون هذه إنسانية يا جنرال ؟

فوجئ الجنرال بمنطقها ، حتى إنه لم يستطع ردًا ، بينما مضت هى فى إحكام حصارها له :

- ثم يا جنرال .. أليس هناك حديثًا نبويًا يوصيك أنت وأمثالك بتزويج بناتكم ممن ترتضونه دينًا وخلقًا ؟ ألم يوصكم رسول الله ﷺ بهذا ؟ ثم ألم تتزوجه هو نفسه السيدة (خديجة) - رضى الله عنها - وهو لا يملك غير سيرته

الطبية ؟ فما المشكلة إذن فى أن تزوج نحلتك حبيبتك شـابًا ، أنـت خير شاهد على أدبه وتدينه ؟

حصـار .. حصـار محكم ضُرب حول الرجل ؛ كـانت نتيجتـه تحرُك إحساسه بالضيق ، فكان جوابه بلهجة مغايرة :

- يا بنتى الأدب والتديّن وحدهما لا يفتحان بيتًا .

- إذن فلنساعده نحن فى فتحه .

انقلبت استنكار الرجل :

- كيف ؟! نصرف عليه ؟!

وجاءه الرد سريعًا مصوبًا :

- بل نقرضه يا بابا .

تحول استنكار الرجل إلى دهشة :

- نقرضه ؟! نقرضه ماذا ؟ !

- نقرضه قرضًا يفتح به أتيليه متواضعًا وبيتًا متواضعًا ، ومـن الأتيليه يصرف على البيت ، وحينمـا يكرمـه الله يسدد القـرض لحضرتك .

طغت دهشة الرجل :

- بهذه السهولة ؟!

- إنها فعلاً سهلة يـا بابا ، فحينمـا تكون المشكلة فـى المـال فإنها تكون سـهلة .. أليس هـذا هو رأى حضرتك الذى تردده دومًا ؟

وأمسكت الفتاة عن الكلام لوهلة ، بدت خلالها وكأنها مـترددة فى قول شىء ما ، ولكنها فى النهاية وجدت نفسها تقوله :

- بابا .. اسمح لى أن أذكِّرك بما رويتـه لى مرارًا أنت ومامـا عن ظروفك حين تقدمت لها .

اختلجت قسمات الرجل ، فى حين مضت وحيدته متسائلة :

- ماذا كنت تملك يـا بابـا وقتها سوى البدلـة العسكرية التـى تخرّجت بها من الكلية الحربية ؟ ألم تكن ظروف حضرتك وقتها هى نفسها ظروف (ماجد) الآن ؟ ألم يقبلك جدّو (سليم) ـ الله يرحمه ـ زوجًا لابنته الوحيدة ، وهو أغنى أغنيـاء (الشـرقية) وأنت صفر اليدين ؟ ألم يمنحك هذه الفيلا الجميلـة متكفلاً بكافـة مصاريف الزواج مقابل شرط واحد فقط ، هو أن تسعد ابنتـه ؟ ثم فى النهاية يا بابا ألم تثبت له حضرتك حسن ظنـه فيك ؟ فمـا الذى يمنع بابا (نور) الطيب من أن يأخذ موقف جدو (سليم)

الآن ؟ ما الذى يمنعه من شراء سعادة وحيدته الحبيبة ولو بأموال الدنيا .. كلها ؟

وإذا بالفتاة الملائكية ترفع كفيها العصفوريتين ، محتضنة بهما وجه أبيها ، وإذا بكل نبضات قلبها تتدفق فى كفيها ، وفى صوتها ، وفى نظراتها ، وهى تقول له :

ـ بابا حبيبى ، أنا عارفة ، عارفة وواثقة أن أقصى مناك فى الحياة أن تسعدنى ، فماذا لو قلت لك من قلبى : إن (ماجد) هو سعادتى ، وأكثر من سعادتى ؟ وماذا تساوى سعادتى هذه عندك ؟ وماذا ..

ولم تكمل الفتاة الملائكية سؤالها .. تقطع صوتها بسيل الدموع المنساب من عينيها العالقتين بعينى أبيها فى رجاء يبلغ حد التوسل .. وما كان لأب مثل (نور الدين) ليحتمل هذا ، فلم يدر بنفسه إلا وهو يختطف نحلته الحبيبة فى حضنه ، ويضغطها فى صدره بمنتهى القوة ، وكأنه يريد أن يحشرها فى قلبه من بين الضلوع .

* * *

وجاء (ماجد) بأبيه وشقيقته إلى فيلا (نور الدين) يطلبون يد النحلة ..

وفى ثلاث كلمات لا غير لخّص اللواء (نور الدين) مطالبه لـ (ماجد) :

ـ مهر ابنتى سعادتها .

وكان رد (ماجد) :

ـ ستعيش عمرها أميرة ، وأنا خادمها يا بابا (نور) .

ولم يملك الرجل الطيب إلا أن يضمه فى حضنه ، هامسًا له بأبوية فياضة :

ـ لا تحمل همًا لشىء يا فتى .

وارتج قلب الفتى .. وصدحت زغرودة الدكتورة (صباح) فى جنبات الفيللا .

بينما أسرعت الدكتورة (بثينة) تتلقى النحلة فى حضنها ، هامسة لها بفيض أمومتها :

ـ مبروك يا حبيبتى .. مليون مبروك .

■ ■ ■

شهر واحد ، وكانت ترفع على واجهة واحد من أفخم أبراج حى (المهندسين) لافتـة نحاسية ضخمة ، مكتوب عليها :

(أتيـليـيـه مـيجـو)

وفى ريسبشن الأتيليه الذى بدا كبانوراما باريسية متلألئة ، وقف (ميجو) محاطًا بعائلة (نور الدين) يتلقى تهانى الافتتاح من كبار ضباط القوات المسلحة ، والشرطة ، ورجال الأعمال ، ووجهاء المجتمع ، الذين جاءوا جميعًا إجلالاً لصديقهم اللواء (نور الدين) ..

وكم كان المشهد رائعًا ومؤثرًا ! حتى إن الحاج (حسين) لم يستطع كبح جماح دموعه ، فراحت تشق طريقها فوق خديه ، فاضحة ذهول القلب الطيب من حصاد الصبر الجميل .. ووقعت عينا الدكتورة (صباح) الجالسة إلى جواره فى صدر الريسبشن الضخم المزدحم بالضيوف على دموعه فأسرعت تربت على يده ، هامسة له بطوفان فرحتها :

ـ وبشر الصابرين يا بابا .. وبشر الصابرين .

وكان رد الرجل بالدموع :

ـ الحمد لله يا بنتى .. الحمد لله .

* * *

شهر آخر ، وكانت زفة العروسين بسرب من أفخم السيارات تشق شوارع مدينة (6 أكتوبر) ، قادمة من حفل زفافهما الأسطورى بدار الدفاع الجوى بمدينة نصر ، قاصدة عش الزوجية ، الذى تم تأثيثه بالطابق الثالث للفيلا على أحدث طراز ، حتى إذا ما أغلقت على العروسين غرفتهما ، أسرع (ماجد) يطبق على خصر عروسه بكفيه ، وأسرع يسرى بعينيه على وجهها الساطع بلون الورد فى ذهول من تحول حلمه المستحيل ـ بل الأكثر استحالة من المستحيل ـ إلى حقيقة أروع وأجمل و أشهى مليون مرة من الحلم ، وكان رد عروسه الأكثر فتنة من القمر همسة أكثر اشتعالاً من النار :

ـ أهلاً بك فى جنتك يا أجمل دبور .. إليك شهد نحلتك !!

* * *

الفصل السادس

على تغريد عصافير الحديقة ، فتح (ماجد) عينيه .. سكنت نظراته على وجه حبيبته النائمة إلى جواره .. بـدر .. بدر يغط فى نومه .. الشعر الحريرى الحالك يتناثر حول الوجـه الشاهى كخمائل ليل مفتون ببدره - الملامح القمرية يضفى عليها ملاك النوم براءة الملائكة ، ورواء ليلة العمر يُضيئها بلون الورد ، راسمًا منها قمرًا ورديًا .. وجعل الفتان العريس المحظوظ يجيش فـى قلبـه وفـى عينيه ، فراحت نظراته المفتونة تهيم بهـذا الجمـال ، تنهل منه بنهم طاغٍ ، وبغير ارتواء .. كـاد نهمـه يدفعه لأن يختطفها فى حضنه ، لولا أنه أشفق عليها من قطع نومتها الهنية .. بمنتهـى الرقة وضع قبلة خفيفة على خدها ، ساحبًا عليها غطاءها .. ثم نهض خارجًا إلى الشرفة ، ليجد من هم فى انتظاره .. الشموسة العذراء بوجهها الذهبى الصبوح .. و(داليا الملونـة) بورودها وشجيراتها ، وبساط خضرتها المزهزهة ، وعصافيرها الشقية التى لم تهدأ حتى أيقظته بسمفونيتها الصباحية .. جميعهم تلقـوه بتهانيهم الصباحية .. كلٌ بِلُغَتِه .. وكـان ذلك كافيًا لأن تومض ابتسامته فـى عينيه ، وهـو يسرى بهما عليهم جميعًا . حتـى صادفتهمـا بوابـة الفيلـلا بزهرتـى عبـاد الشـمس النحاسـيتين

اللامعتين بشغَان بسحرهما .. هنـالك سكنت العينـان الهائمتـان بنظــرة تبتلـت فيهمـا فجــأة نشـــوة الارتــواء بسـكـرة الدهشـة !!

نعم الدهشة !!

فمن يصدق هذا ؟!

من يصدق ؟!

أول مـرة جـاء إلـى هنـا ، كـان جنديًا سائقًا ، عليـه الانتظار بسيارته خارج هذه البوابة .. انتظار الخادم للسيد !

وأول مرة وقعت فيها عيناه على النحلة ، كانت فى مثل هـذه الأيام من العام الماضى ، وفـى صباح ربيعى مشمس مثل هذا الصباح ، حينمـا فوجـئ بهـا تخرج من الفيلـلا بصحبة سيادة اللـواء .. لحظتهـا أسـرع يفتـح لهمـا بـاب السيارة الخلفى ، وهــو ينظـــر فـــى الأرض ، حتـى ركبـا متجـاورين ، وأغلـق عليهمـا بابهمـا ، دون أن يرفـع عينيـه عـن الأرض .. لـم يجـرؤ على رفعهمـا فى ذلك الجمــال الذى فـاق كل ما ورد علـى عينيـه مـــن جمـال طـوال حياتـه ؛ بل إن توتـره هـاج عليه ، وهو يتحرك بالسيارة ، فراح يستميت فى كبح جماحه ،

حتى فوجئ بسيادة اللواء يقوم بالتعارف بينه وبين النحلة ، بتواضعه وتلقائيته وبشاشته الجميلة .

وفوجئ أكثر بالنحلة الفاتنة تفوق أباها الرائع تواضعًا وتلقائية وبشاشة .. ولم ينتبه إلى أن توتره ورهبته قد خمدا تمامًا إلا حينما وجد نفسه يبادل النحلة حديثها الضاحك ، ويجيب سيل تساؤلاتها الذى أمطرته به بمجرد أن اكتشفت أنه مصمم أزياء حريمى ، وليكتشف هو أيضًا ولعها الجنونى بعالم الأزياء ، ثم كانت المفاجأة التى أطاحت بكل الحواجز من جذورها ، حينما ختمت النحلة الشقية محاورتها له بقولها بمنتهى الجرأة والشقاوة ، وهى تغادر السيارة أمام بوابة الجامعة :

ـ شكلك مشروع صديق أنتيم هائل !!

قالتها ، وانطلقت وسط الطلبة ، تركته مسحوقًا بذهوله ، حتى إنه لم يفق إلا على دعابة سيادة اللواء :

ـ جندى (ماجد) .. صح النوم !!

فما كان منه إلا أن أسرع بالانطلاق بالسيارة مطحونًا بين ذهوله وحرجه .. ولو كان حجاب الغيب قد انكشف له فى تلك

للحظات ، ورأى نفسه فى فراش النحلة ، لطار عقله فى لحظتها ، ولما بقى منه الآن إلا واحد من مجاذيب الشوارع ، ومن هنا كانت دهشته الهادرة ، وعيناه ساكنتان على البوابة ، حتى وجد نفسه يهز رأسه تعجبًا من سطوة الأقدار ، ثم استدار ليرتد إلى عروسه فى فراشها ، فإذا بها بين يديه ، تعانق كل ما فى وجهه بعينيها الفاتنتين المرتويتين بينما همستها تنساب من بين شفتيها ، كقطعة سكر مذابة :

ـ أحلى صباح على عيون حبيبى .

ولم يملك حبيبها إلا أن يضمها فى حضنه ، ثم يجيبها دون أن تبرحه دهشته البهيجة :

ـ أحلى صباحية لأحلى عروس فى الكون .

وانسابت نظراته المبتهجة من فوق كتفها على صفى شجيرات الورد التى تحف الطرقة الممتدة إلى البوابة ، فإذا بسيارة (حماه) الميرى تصل ، وسائقها الجندى يسرع بالنزول منها ليقف إلى جوارها فى انتظار قائده .. انطفأت بهجة نظراته وهى تسكن على الجندى ، ولم يدر بنفسه إلا وهو يغمغم لعروسه الساكنة فى حضنه :

ـ تعالى !!

وتلف بها إلى الغرفة ، متعمداً ألا ترى الجندى !!

* * *

وانسابت أنهار الشهد ، داعية العروسين العاشقين للارتـواء بكل ما فيها إن استطاعا ..

ولم يتوانَ العروسان النهمان فى فعلها ..

انطلقا ينهلان ..

وينهلان ..

وينهلان من شهدها ..

وكلما نَهِلا نهما ..

يا لجمال الدنيا حين تُقبل على قلبين عاشقين ، رافعة كأس السعادة فى يُمناها ، وباسـطة لهمـا يسـراها كـى يرتميـا فـى حضنها !!

ويا لسعادة العاشقين حين تحفهما قلوب ملائكية تغمرهما بفيوض حبها وحنانها ودفئها !

وهذا ما كان من بابا (نور) وماما (سوسى) .

من قال أن الجنات فى الآخرة فقط ؟!

هاهنا على الأرض جنة ما خطرت على قلب بشر ..

جنة (ميجو) ونحلته !

* * *

الفصل السابع

في مكتبه ، وبمنتهى التركيز وقف (ماجد) يزحف بنظراته الجادة فوق الفستان السواريه الذى ترتديه الموديل الحسناء الساكنة تمامًا بين يديه - وفى تفحصه الدقيق للفستان راح يثبت بضعة دبابيس فى مواضع متفرقة منه ، حتى إذا ما فرغ من ضبطه ، همَّ بأن يستدير إلى مساعدته الواقفة إلى يساره ليلقنها ملاحظاته ، فإذا به يمسك بساعد الموديل ، ناظرًا إلى لاصقة طبية كبيرة عليه ، ومتسائلاً فى دهشة :

- ما هذا ؟!

وكان رد الموديل بشىء من الحرج :

- أثر جرح قديم .

ازدادت دهشته :

- جرح ؟!

وبقسوة متناهية ودون استئذان نزع اللاصقة بإصبعيه ، فإذا بآثار حرق جعلته يسارع بلىّ وجهه إلى الناحية الأخرى بامتعاض طافح ، قائلاً للموديل :

- تفضلى .

فلم تملك الموديل إلا الانطلاق جريًا من الغرفة مشفوقة بالإهانة ، بينما عاد هو بوجهه الممتعض إلى مساعدته قائلاً :

- صفّى حسابها و اصرفيها .

وفوجئت المساعدة :

- لكن يا أستاذ (ماجد) ..

حدجها بنظرة جامدة :

- لكن ماذا ؟

- إنها موديل ممتازة .

- ومشوّهة بشعة .

هكذا جاءها رده كالصفعة ، فلم تملك إلا الإطراق إلى الأرض ، قائلة :

- بإذن حضرتك .

واستدارت مغادرة الغرفة بسخطها المكظوم ، بينما عاد هو إلى الجلوس خلف مكتبه الضخم المزدحم بألبومات ومجلات الأزياء التى تحمل أغلفة بعضها صوره واسمه .. وبطريقته

الجذابة أشعل سيجارة من علبته (المارلبورو) الحمراء .. بدا جليًا أن نجاحه فى عمله رسم على مُحيّاه وقّار وهالة الناجحين النابغين .. أمسك بقلمه الرصاص ، بادئًا فى وضع الخطوط الأولية لتصميم جديد فى خياله على إحدى ورقات دفتر تصميماته ، فإذا بسكرتيرته الحسناء تدخل قائلة برهبة واضحة :

- أستاذ (ماجد) .. آنسة (مى) فى الخارج .

طارت جهامته :

- أدخليها !

انسحبت السكرتيرة ، بينما أسرع هو بإلقاء قلمه فوق الدفتر ، وإطفاء سيجارته ، ورفع عينيه المبتهجتين نحو الباب ..

ودخلت (مى) - عود الأبنوس المخروط - وما إن وقعت عيناها عليه بهيئته الباهرة ، حتى انفلتت دعابتها مع ابتسامتها الساطعة :

- طبعًا !! برنس بهذه العظمة كيف تخطر بباله حرفوشة مثلى ؟

وكان رده بابتسامة عريضة مشرقة ، وهو يخرج لها من خلف مكتبه :

- لو سمعك عمنا المرحوم (نجيب محفوظ) وأنتِ تنسبين نفسك إلى الحرافيش لطال عمره تسعين سنة أخرى .

وصافحها ، مردفًا بسعادته الغامرة :

- حمدًا لله على السلامة يا قمرى .

- الله يسلمك يا (ميجو) .

وأجلسها ، وعاد إلى مقعده خلف مكتبه ، حيث جلس ، وهو يضغط زرًا على يمينه .. فلم تلبث سكرتيرته أن دخلت مرة أخرى :

- تحت أمرك يا (ماجد) بك .

- كابتشينو بسرعة !

- حاضر يا افندم .

وانسحبت السكرتيرة ، فعاد (ماجد) بعينيه المبتهجتين إلى ضيفته العزيزة !

- لكِ وحشة يا قمرى .

- واضح يا صديقى .. بأمارة فتحك الأتيليه وزواجك دون دعوتى .

- غلطة يا صديقتى .

- غلطتان يا صديقى .

ـ اطلبى فى حقك ما يكفيكِ .

انسابت على شفتيها ابتسامة رضًا :

ـ يكفينى أن أراك سعيدًا يا (ميجو) .

وجاء الساعي بالكابتشينو .. وضعه أمامها وانصـرف بإشـارة من (ماجد) ، فعادت (مى) تقول :

ـ ألف مبروك يا (ميجو) ، على الأتيليه ، وعلى الزواج .

وكان رد (ميجو) بمرحه :

ـ واحدة فى مكانها .. والأخرى فى غير مكانها .

دُهشت (مى) :

ـ وأين مكان الأخرى ؟

ـ البيت يا عود الأبنوس ..

وأسرع يطلب النحلة على الموبايل ، قائلاً لها :

ـ نحلتى .. أنا فى الطريق إليك بعـود الأبنوس الذى صدَعتك بالحديث عنه .

■ ✱ ✱

الفصل الثـامن

تشابه ملامـح شخصيتيهما فى وجـوه كثيـرة ـ أسطعها تدفُّق وهـج الحيـاة فى روحيهما ـ جعـل من (داليا) و(مى) صديقتين قبل أن تنتهى بهما السهرة بصحبة (ماجد) فى الفيلا .. انفتحت القلوب الشابة على بعضها ، فانسابت حوارات الثلاثة ، مغمـورة بالضحك الصافى المتدفق من القلوب ، حتى انتبهت (مى) إلـى أن الساعة قد جاوزت منتصف الليل ، فأسرعت تشكر مُضيِّفيها ، وتستأذنهما فـى الانصـراف ، فكـان تساؤل (داليا) فـى دهشـة باسمة :

ـ تنصرفين ؟! إلى أين تنصرفين ؟!

ـ إلى عمتى فى (باب اللوق) .

التفتت (داليا) إلى (ماجد) متبادلة معه نظرة دهشـة وهـى تقول :

ـ باب اللوق !

ثم عادت تنظر إلى (مى) ، قائلة بدهشتها :

- يا حبيبتى نحن الآن فى منتصف الليل ، والمشوار من هنا إلى (باب اللوق) سفر ، كما أن المواصلات ـ خاصة على الطريق الدائرى ـ غير آمنة بالمرة للنساء فى هذا الوقت .

تحرك قلق (مى) ، فراحت تنقل نظراتها القلقة بين مُضيفَيْها ، متسائلة فى حيرة :

- والعمل ؟!

وكان رد (داليا) :

- العمل أن (تبيتى) هنا معنا .

- أنا نازلة على عمتى . ولا يصح أن أبيت خارج بيتها .

- ولا يصح أيضًا أن تتصرفى فى هذا الوقت المتأخر .. اتصلى بها واستأذنيها .

والتفتت (داليا) إلى (ماجد) قائلة :

- (ميجو) .. قل شيئًا لصديقتك !

فلم يملك (ماجد) إلا أن يخرج موبايله من جيبه ، سائلاً صديقته :

- ما رقمها يا صديقتى ؟

ولم تملك (مى) إلا أن تملى عليه الرقم ، فاتصل به ، وناولها الموبايل ، وجاءها إذن العمة . بعدما تدخلت (داليا) فى المكالمة عبر (الاسبيكر) ، مطمئنة العمّة بأسلوبها الراقى ، حتى إذا ما انتهت المكالمة ، سارعت بالالتفات إلى (مى) متسائلة :

- هل تحبين (تامر حسنى) ؟

- وهل هناك فتاة فى (مصر) لا تحبه ؟

فما كان من (داليا) إلا الإسراع بفتح التليفزيون على قناة (مزيكا) ، فإذا بحفل ساهر لـ (تامر) ، وإذا بهتفة (مى) اللذيذة :

- ياااااى!!!!

* * *

صباح جميل مشرق أبهج للقلوب الشابة ..

فى الشرفة المكتحلة دومًا بحسن (داليا الملونة) وقفت الصديقتان الطازجتان ، تلوّحان لـ (ماجد) وهو يستقل سيارته

الـ (نوبيرا) الحمراء ، حتى إذا ما مضى بها ، عادت (داليـا) بصديقتها إلى غرفتها لتفتح لها دولاب ملابسها قائلة :

ـ صديقتى . هيا انتقى لنا طقمين روشين لنخرج بهما معا .

دهشت (مى) :

ـ إلى أين ؟!

ـ إلى أماكن كثيرة ، فيومنا حافل .

انسابت ابتسامة (مى) :

ـ أنا تحت أمرك يا صديقتى ، ولكن ألا تعجبك ثيابى ؟

وجاءها الرد بسرعة :

ـ بالعكس يا حبيبتى . إنها فى منتهى الشياكة ، ولكن لا يصح أن ترتديها يومين متتاليين وبين يديك كل هذه الثياب .

تبدّى التردُد على (مى) وقالت :

ـ ولكن ..

ـ ولكن ماذا يا صديقتى ؟

ـ هذا كثير يا (داليا) .

انفلتت نظرة للعتاب من عينى (داليا) :

ـ الغلطة الثانية يا صديقتى .

ثم أردفت بطيبتها الملائكية :

ـ منذ متى كان هناك شيء كثير على الأصدقاء ؟

سَرَى نُبل السؤال فى قلب (مـى) ، فأطل الإكبار غمرًا من عينيها وهى تتأمل صديقتها قائلة :

ـ أنت طيبة جدًا يا (داليا) . . من أين أتيتِ بكل هذه الطيبة ؟

وجاءها الرد بمنتهى الاعتزاز :

ـ من بابا و ماما .

انداحت سحابة حزن فى وجه (مى) وانسابت غمغمتها أكثر حزنًا :

ـ كان نفسى يكون لى بابا مثـل أبيـكِ و ماما مثـل أمكِ .. أبى لا تربطنى به سوى النقود التى يرسلها من السعودية ، وأمى نفسيتها محطَمة ، ليس لديها ما تمنحه لى .

وانسابت دمعتها على خدها كقطرة عذاب مسال ، فأسرعت (داليا) تضمها فى حضنها بمنتهى الحنو :

ـ اعتبريني أختك يا (مى) .. وبابا و ماما سيحبانك مثلى تمامًا .

ـ شكرًا يا حبيبتى .

وفصلتهما لحظة صمت كانت كافية لأن تنتبه (مى) إلى ما فعلته بصديقتها الطيبة . فأسرعت ترفع رأسها من حضنها ، ماسحة دمعتها وهى تقول :

ـ أنا آسفة يا حبيبتى .. كدرتك معى .

ثم نفضت عنها كدرها تمامًا ، واستعادت ابتسامتها قائلة :

ـ أخبرتنى بأن يومنا حافل .

ـ نعم . فالليلة سيقدم (ميجو) أول عرض أزياء له فى (سميراميس) .

وانطلقت هتفة (مى) تملأ الغرفة :

ـ ياااااى!

* * *

الفصل التاسع

ألف قوس قزح توهجت فى عينى (ماجد) !!

كل بريق نجوم السماء تلألأ فى عينيه !!

كل ما فى الكون من ينابيع فرحة تفجر فى قلبه ، فكاد يطير عقله من جنون سعادته وهو يحدق فى نحلته ، غير مصدق ما قالته توًا ، متسائلاً للمرة الخامسة وربما أكثر :

ـ حامل ؟!

وللمرة الخامسة وربما أكثر أومأت النحلة بالإيجاب وقد تلون وجهها بسحر سعادتها ، ومع ذلك عاد يكررها :

ـ حامل يا نحلة ؟!!

وجاءه جواب النحلة بسعادة تفوق سعادته :

ـ نعم يا أجمل دبور فى الكون .. حامل .

ـ أتعنين أننى سأكون أبًا ؟!

ـ لأجمل بنوتة فى العالم .

وجاءت سعادته بآخرها :

ـ وأيضًا بنت ؟!

ـ نعم بنت كالشهد ، وسيكون اسمها (شهد) .

انطلقت هتفته :

ـ شهد الملكة!

وانطلقت هتفة النحلة :

ـ بل شهد (ميجو) .

وطارت الفرحة بعقل (ميجو) ، فإذا بـه يختطـف نحلتـه من فوق الأرض ، رافعها فـى حضنـه إلـى أعلـى ، ودائرًا بهـا فـى الهواء بهياجه الهيستيرى ، بينما النحلة تهتف به ضاحكة :

ـ (شهد) يا (ميجو) .. (شهد) تدوخ هكذا .

أسرع ينزلها ، منحنيًا على بطنها :

ـ لا ، لا .. آسف يا شهد الملكة .. آسف يا مولاتى .. آسف جدًا جدًا .. الدبور المجنون يعتذر لجلالتك ، ويعدك بأن يتعقّل ، ويتأدب ، ويحترم نفسه .. فقد صار أبًا .

وإذا به يربّع ذراعيه على صدره فى تأدب ، مردفًا :

ـ وها هو أمامك .. انظرى كم هو مهذب محترم !

انظرى !

وراح يبدى كل ما لديـه من فـروض الأدب والاحترام بينمـا النحلة تضــحك ، وتضــحك ، حتى دمعت عينـاها ، فمدت يديهـا تُنهض زوجها الحبيب من انحنائـه كـى تحلّق بنظراتها الدامعة على وجهه ، وكى تروى قلبها من سعادته ، وكى تهمس له من قلبها :

ـ مبروك يا حبيبى .

ـ مبروك علينا معًا يا حبيبتى .

ورفع يديها يقبلهما ، ثم عاد ينظر إليها مردفًا :

ـ ما عدت أدرى كيف أوفيكِ حقك يا حبيبة عمرى .

وكان رد الزوجة الحبيبة كنبضة قلب عصفور :

ـ بشىء بسيط جدًا يا حبيب روحى .

ـ دلنى عليه فورًا .

ـ بأن تظل تحبنى .

ـ وهل لديكِ أدنى شك فى هذا ؟

وجاءه الجواب فى نظرة زاحفة على وجهـه كأنها تفتش فيـه عن شـىء مـا . أو تخشى مجهولاً مـا .. وجد نفسـه يسـألها بابتسامة دهشة :

- ما هذه النظرة يا حبيبتى ؟!

انفلت جوابها رغمًا عنها :

- خوف يا حبيبى .

ازدادت دهشته :

- خوف ؟!

- نعم يا حبيبى ، خوف .. خوف الحب .

- وهل يفرز الحب خوفًا ؟!

- الخوف قرين الحب يا (ميجو) .. هل هناك من يخاف على الابن مثل أمه ؟ هل هناك من يخاف على الحبيب مثل حبيبه ؟ ولماذا يخاف الإنسان على حياته كل هذا الخوف ؟ أليس لأنه يحبها بأقصى ما لديه من حب ؟ ولماذا يخاف على كل عزيز ؟ الخوف يأتى حيث الحب يا (ميجو) وعلى قدره ..

واختلج قلب (ميجو) ، ووجد نفسه يسألها متخوفًا ، وكأن خوفها تسرب إليه وكأنه بدأ هو أيضًا يخاف من هذا المجهول الذى تلمح إليه حبيبته بهذا اليقين .

- ومن أين يأتى هذا الخوف ؟

وكأن السؤال عرّى تمامًا ما كانت الزوجة الحبيبة تجاهد فى إخفائه بأعماق قلبها .. وجدت نفسها ترسل نظرة بعيدة إلى عمق الفراغ المعتم خارج الشرفة . ثم تجيبه برعدة فى أعماق قلبها :

- من خبايا الأقدار يا حبيبى .. من خبايا الأقدار .

وارتج قلب (ماجد) .. فكم كانت نبرتها مرتاعة مثل نظرتها العالقة بسويداء الفضاء المعتم خارج الشرفة ؟

* * *

بمدخل سنتر (النخيل2) ، وبمقعده المفضل الذى يتصدر الساحة الخارجية لكافيتريا (واحة النخيل) جلس (عبد المنعم) إلى طاولته عائشًا مع شيشته .. منذ بضعة شهور انعطف إلى عقده السادس من العمر . ولكن روحه الشبابية وبراعته المرتسمة على وجهه تجعلانه يبدو أصغر من ذلك بعشر سنوات على الأقل ، بل تجعلانه يبدو وكأنه طفل كبير سهل القياد ، ولكنه فى حقيقته لم يكن كذلك بالمرة .. ويبدو أن (مى) قد تأكدت لها هذه الحقيقة بعد مشوارها الطويل معه ، لذلك جاءت نظرتها إليه

وهى تتقدم منه كشعاع نازف مرارة وإحباطًا بينما أسرع هو يقف لاستقبالها ، وقد ضربته المفاجأة :

ـ معقول !

صافحت يده الممدودة ، وعيناها فى عينيه بنظرتها المريرة فكانت ابتسامته الماكرة وهو يدعوها إلى الجلوس :

ـ تفضلى .

جلست ، وعاود جلوسه .. أخذ نفسًا طويـلاً من شيشته قبل أن يبادرها قائلاً :

ـ لن أسألك كيف عرفتِ مكانى ، فهذه هـى (مى) .. تعرف دائمًا كيف تصل إلى غايتها .. ومن أقصر طريق .

انفلتت ضحكتها طويلة وعالية ، حتى ملأت ساحة الكافيتريا .. ضحكة أكثر مرارة من نظرتها ، ثم كان ردها وهى تنظر فى عينيه مباشرةً :

ـ واحدة غيرى كانت تحسبك تمدحها ، أما أنا فلأننى شُفيت من غشاوتى ، وصرت أراك جيدًا فإننى أشكرك على سخريتك هذه منى .

ورفعت عينيها إلى أعلى ، مستعرضةً بُنيان السنتر العجيب .. الذى بدا بضخامته ونظافته وهدوئه وعظمة بنيانه ، كأنه حى أوروبى عريق يعتز بعراقته وشموخه وتفرّده .. يبدو أن مدينة (6 أكتوبر) فى مجملها محاولة ناجحة لإحياء الزمن الجميل .. عادت بعينيها إلى (منعم) ، فإذا به يتطلع إليها بهدوء عجيب وهو يسحب نفسًا طويلاً من الشيشة .. استفزها هدوءه ، ولكنْ كبرياءها كانت كبح جماحها ، فكان سؤالها له بمنتهى الهدوء :

ـ لماذا يا (عبد المنعم) ؟! لماذا فعلت ذلك ؟ !

أخرج المبسم من فمه بنفس هدوئه :

ـ ماذا فعلت يا حبيبتى ؟

انفلتت ابتسامتها الساخرة قائلة :

ـ حبيبتك ؟!

وجاءها الرد بنفس الهدوء :

ـ نعم حبيبتى .

ـ بأى أمارة ؟

ـ بأمارة أن كل رجل فى سنى يتمناك ابنة له .

كادت تصرخ فيه مصدومة :

ـ ابنة ؟!

ـ نعم أجمل ابنة .

طغى ذهولها :

ـ وهل كنت أنت تتمنانى ابنة لك يا (منعم) ؟!

ودون أن يهتز هدوءه قيد شعرة :

ـ ومازلت .

بدت على وشك الجنون وهى تقول :

ـ وهل كان ما بيننا هكذا ؟! طلبك يدى من أمى .. وأحلامنا الزوجية التى رسمتها أنت .. ووعودك لى بأن تكون أروع حبيب وأروع زوج ـ وأيامنا ولياليـنا معًا ـ وكلامك عن حبنا وعن مستقبلنا ليل نهار .. كل هذا كان بين أب وابنة ؟!

كان انفعالها قد بلغ من الحد ما جعل عروق وجهها تبدو وكأنها على وشك الانفجار ، ومع ذلك بدا (منعم) وكأنه يشاهد فيلمـا تلفزيونيًا مملاً .. بمنتهى الهدوء وضع (لى) الشيشة أمامه على المائدة ، ثم اعتدل فى جلسته ، ثم راح يتطلع إلى

الفتاة التى تغلى بنظرة طويلة ، ثم فى النهاية تمامًا راح يتفضل بإجابتها بهدوئـه العجيب ، ولكـن بكلمـات منتقـاة و محسـوبة بمنتهى الدقة :

ـ اسمعى يا (مى) ! لقد وصلنا إلى نقطة لا يشفع عندها ولا يفيد غير الصراحة .. وأول القصيدة هو اعترافى بأننى أخطأت .. ولكن .. أيُّهما صواب ؟ أن يتوقف الإنسان عندما يكتشف خطأه ويصححه ؟ أم يتمادى فيه ؟

ولم ينتظر الرجل جوابًا من الفتاة التى كانت عيناها قد تسمرتا على وجهه ذهولاً من لهجته الغريبة على مسامعها ، بل مضى فى تفريغ ما بداخله بنفس هدوئـه ، وبنفس تحسبه فـى انتقـاء كلماته :

ـ هذا من ناحيتى يا صغيرتى .. أما من ناحيتك أنت فاسمحى لى بأن أبصرك بما غاب عنك فى هذه القصة ، وهو أن حبك لـى وتعلقك بى لم يكن قط حُبٌ وتعلق حبيبة بحبيبها .. لم أكـن حبيبك يا صغيرتى .. بل كنت بديل الأب الذى تفتقدينه .. بديل ذلك الأب الذى حرمك من حضنـه وحبـه وحنانـه .. وهـؤلاء الأغبياء العالمون بالقصة توقف تفكيرهم عند تفسيرها بـأنك طامعة فـى أموالى التـى ورثتها .. ولـم يكن هذا سوى غبـاء

منهم ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا أن الذى ينقصك هو الأبـوة بكل ما تعنيه من حب وحنان وأمان ، وليس المـال .. لـو فهمـوا هذا لتعاطفوا معك بدلاً من تهجمهم عليكِ .. ولكن كيف نلومهم وأنتِ نفسك لم تستطيعى فهم عاطفتك ؟ نعم يا صغيرتى .. أنـتِ نفسك لم تفهمى .. لم تفهمى أننى ملأت قلبك وحياتك كأب بديل منحك الحب والحنان والأمـان ، فكـان طبيعيًا أن تحبينـى بكل قلبك - حب الابنة لأبيها يا صغيرتى ، وليس حب الحبيبة لحبيبها ..

وتدفقت إنسانية الرجل كلها فى نبرته وهو ينهى محاضرته :

- هذا هو ما غاب عنك يا صغيرتى ولم تفهميه أنتِ ، ولم أفهمـه أنا أيضًا إلا متأخرًا ، ولكننى حين فهمته قررت أن أمنحك الفرصـة كى تفهميه أنتِ أيضًا .. لذلك انسحبت من حياتك مؤقتًا .. مجـرد انسحاب مؤقـت ، وليس تخليًا عنـك .. فأبدًا لا يمكننـى التخلـى عنكِ .. وأبدًا لن تهونى علىّ يا صغيرتى .. أبدًا لن يحدث ذلك .. طالما بقىَ فى صدرى نفس ..

ومد الرجل يده بمنديل ورقى يمسح دموع الفتاة الزاحفة علـى خديها بكل ما فى قلبه من أبوّة .

* * *

الفصل العاشر

- مبروك يا (نور) .

بلهجة حميمة دافئة قالها وزير الدفاع وهو يجلس خلف مكتبه الكلاسيكى ، تعلوه صورة الرئيس (مبارك) الناطقة بوسامته .. وكان رد اللواء (نور الدين) وهو يجلس أمامه :

- الله يبارك فى سيادتك يا افندم .

- ماذا ستسمونها ؟

- شهد .

وكان تعليق الوزير بابتسامته الحلوة :

- إن شاء الله ستكون شهدًا .

ثم برقته العذبة :

- أكرر تهنئتى أيها الجدُّ الوسيم .

وإذا برَدّ اللواء (نور الدين) بنبرة تنداح فيها المرارة :

- هذه مع الأخرى تستوجبان المواساة يا سيادة الوزير .

دُهش الوزير :

- المواساة ؟!

- نعم يا افندم . فمعنى أن أصير جدًا ، وأن أخرج معاشًا أننى أدخل المنعطف الأخير من عمرى .

- سُنَّة الحياة يا (نور) .

- والله يا افندم ما عدنا ندرى كيف تجرى بنا الأيام بهذه السرعة .. فحينما أتوقف قليلاً مع نفسى ، وألتفت إلى الوراء ، أرى طفولتى وشبابى وكأنهما كانا بالأمس القريب .

تسربت مرارة اللواء (نور الدين) إلى نفس الوزير ، فكان تعليقه فى أسى :

- هكذا صارت الحياة يا (نور) .. رحلة (تيك أواى) .

- لعن الله هذا (التيك أواى) الذى ضيع البركة حتى من أعمارنا .

وران الصمت على الرجلين لوهلة . كانت كافية لأن ينتبه الوزير لمحاولة شيطان الإحباط معهما . فأسرع يبتسم لضيفه قائلاً :

- على رسلك يا رجل .. لا تضيع أنت فرحتنا بحمل النحلة .

عادت إلى اللواء ابتسامته الحلوة ، فعاد الوزير يقول :

- وكنت ستنسينى أن أحملك تهنئتى إليها .

وإذا برد اللواء متبسمًا :

- النحلة عاتبة على سيادتك يا افندم ، وتهدد سيادتك بأنها ستنساك كما نسيتها .

وكان رد الوزير بابتسامته الودود :

- أولاً يا صديقى ، أنا مستحيل أن أنساها .. ثانيًا ، هى أيضًا مستحيل تنسانى ، فقد كنت الشاهد الأول على عقد قرانها .

لم يملك اللواء إلا أن يقول بمنتهى الامتنان :

- إنها ابنتك يا سيادة الوزير .

- سلامى وتهنئتى لها يا (نور) .

- يصلان إن شاء الله يا افندم .. بعد إذن سيادتك .

ونهض مصافحًا ومؤديًا التحية العسكرية لوزيره ، ثم استدار منصرفًا .. مضى إلى سيارته الواقفة فى ساحة الوزارة .. صرف سائقها المجند ليقودها بنفسه .. من الآن فصاعدًا عليه

أن يعتاد حياة التقاعد .. مضى فى شارع (الخليفة المأمون) ينازعه شعوره المؤلم .. الحفيد والمعاش .. علامات نهاية المشوار .. توقف فى إشارة ميدان (روكسى) .. حانت منه التفاتة إلى امرأة أربعينية فاتنة تداعبه بابتسامتها ، وهى تجلس الى مقود سيارتها الواقفة إلى يساره فى الإشارة .. أشاح عنها معرضًا عن دعوتها ـ انفتحت الإشارة ، فتحرك داخلاً فى شارع (الحجاز) ـ بدا من الواضح أن السيارة تمضى به على غير هدى ، بينما يمضى هو داخل نفسه ـ داخل إحساسه بالسقوط فى فراغ سحيق مريع .. فراغ نهاية دوره فى الحياة .. يا له من إحساس أشد قسوة من الموت ذاته .. فجأة رن موبايله ـ إنها النحلة تخبره بصوتها المغرّد بأنها مع (ميجو) يتسلمان سيارته الجديدة من فرع الشركة المصرية بمصر الجديدة ، وتدعوه للحضور معهما .. أجابها بنبرته الحزينة مثل مشاعره :

ـ دقائق وسأكون عندكما يا حبيبتى .

لحق بهما وهما يتسلمان السيارة .. (فيرارى) ساحرة التصميم .. دار عليها اللواء (نور الدين) بعينيه ، ثم التفت إلى (ماجد) قائلاً :

ـ جميلة يا (ميجو) .. ألف مبروك يا حبيبى ..

ـ الله يبارك في سيادتك يا باشا .

وهتفت النحلة بفرحة طفولية :

ـ شكلها خطير يابابا .. تحفة .

وأجابها بابا مبتسمًا :

ـ فعلاً يا حبيبتى .. ألف مبروك .

ثم التفت إلى (ماجد) مرة أخرى :

ـ ولكن احذر من إغراء سرعتها يا فتى .

وكان رد (ميجو) مداعبًا :

ـ وهل هذه سريعة يا باشا ؟ عدادها لا يتجاوز الـ 320 كيلو .

ـ المشكلة ليست فى الرقم يا فتى .. هذه السيارة قادرة على إقفال عدادها فى دقائق معدودة .

مضى (ميجو) فى شقاوته :

ـ اطمئن يا باشا .. سأجعلها تقفله على مهل .

وقفز أمام (دريكسيونها) ، وقفزت نحلته بفرحتها الطفولية إلى جواره ، لينطلقا بها ، وليتحرك اللواء بسيارته خلفهما وهو يهز رأسه تعجبًا لشقاوتهما .. دقائق معدودة وكانت السيارتان

تستويان على الطريق الدائرى ، قاصدتين مدينة (6 أكتوبر) ..
ومع خلو الطريق الضخم عادت إلى اللواء قتامة نفسيته ..
مازال خبر إحالته إلى التقاعد يفرز قتامته فى ربوع كيانه .. مد
نظرته المخنوقة إلى النحلة وهى تداعب زوجها المنطلق
بالفيرارى أمامه .. حتى الأمس القريب كانت نحلته تجلس إلى
جواره هو ، وتداعبه هو .. حتى فى هذه أحيل إلى التقاعد ..
كل أدواره فى الحياة تنتهى تباعًا .. انطلق استغفاره لربه من
أعماق قلبه ، وكأنه ابتهال إليه بأن يهون عليه نهاياته . وإذا
برد القدر يأتيه فى طرفة عين !!

نعم فى طرفة عين !!

وربما فى أقل !!

كان يقع أمام عينيه هذا المشهد !!

انحرفت سيارة ميكروباص فجأة أمام (الفيرارى) ، لتدخل
فيها الأخيرة ، ولتطير عاليًا فى الهواء لعدة أمتار ، ثم تسقط
مرة أخرى على الطريق ، متدحرجة فوقه كعلبة صفيح فارغة
يدحرجها الهواء ، وفى نهاية دحرجته فيها كان انفجارها !!

* * *

الفصل الحادى عشر

إحدى عشرة ساعة متواصلة وأطباء مستشفى (دار الفؤاد)
يستميتون فى إنقاذ (ماجد) و (داليا) فى العمليات .. وفيما
كان الأطباء داخل العمليات يبذلون أقصى ما لديهم ، وبمنتهى
الإخلاص ، كان المستشفى خارج العمليات بأروقته ومدخله
وفنائه قد تحول إلى ساحة حشر بشرى .. كل من تربطه صلة
بالمصابين وعائلتيهما جاء جريًا بذهوله ، غير مصدق لما حدث ،
ولكن ذهولهم جميعًا مجتمعًا ما كان ليبلغ شيئًا مذكورًا من ذهول
اللواء (نور الدين) .. وقف الرجل أمام باب غرفة العمليات وقد
تجمدت عيناه عليه بنظرات الأموات الذاهلة .. بدا واضحًا من
ثلجية وجهه ، ومن نظرة عينيه المتجمدتين على الباب ، وكأن
كل صواعق السماء تضرب جنباته من الداخل بغير رحمة ..
وبدا للواقفين من حوله أنه على وشك السقوط على الأرض ، فما
كان من بعضهم إلا الإسراع بإحضار مقعد له كى يجلس .. ولكنه
أبى تمامًا ، مثلما أبت الدكتورة (بثينة) إلا أن تكون مع ابنتها
داخل العمليات .

إحدى عشرة ساعة من أفظع الساعات التى يمكن أن تمر
ببشر ، انفتحت بعدها أبواب العمليات ليخرج المصابان فوق

(تروللين) شبه مكفنين فى الضمادات والجبس ، وليتم توسيدهما فى العناية المركزة ، عالقين بين الحياة والموت ..

* * *

وزحفت أيام العلاج والترقُّب والابتهال إلى الله كساعات يوم القيامة .. وهنالك بعد ما يقرب من الشهر كانت الضمـادات تـزال من فوقهما ..

تزال عن ..

وجه مشوّه بمنتهى البشاعة للنحلة ..

وعينين كفيفتين لـ (ماجد) ..

يا الله !!

إنه الهول عينه !!

انطلق صراخ النحـلة مدويًا هيستيريًا وهى تحدق فى وجهها بالمرآة بجنون ما بعده جنون .

وتجمد (ماجد) فى حضن أبيه ، لا يقوى حتى على تحريك لسانه داخل فمه ..

و ارتسمت ويلات الصدمـة على وجه الدكتورة (صباح) ، وهى تكتم صرختها بيدها ..

وتحول قلب اللواء (نور الديـن) إلـى هـواء وهـو يحـدق فـى ابنته ..

وهوت الدكتورة (بثينة) على الأرض فاقدة الوعى ..

إنه الهول عينه !!

• • •

والحياة لا تتوقف ..

تنزل علينا الكارثة ، فنحسب لحظتها أن كل شىء قد توقف .. وأن الحياة قد انتهت .. ولكننا ما نلبث أن نكتشـف أن كـل شـىء ماضٍ .. وأن الحياة ماضية .. وأن كل مافى الأمر أننا صرنا فـى حال مختلفة ، وأننا نعيشها ، شئنا أم أبينا ..

هكذا عادت النحلة وزوجها إلى بيتهما ..

عادا بحال غير الحال ..

تحول (ماجد) إلى سجين غرفته .. فهـو إما نائـم فى فراشه بالمهدئات التـى قررهـا لـه الأطبـاء المشرفون على علاجـه ، أو

جامد فى مقعده ، كتمثال لآدمى صُلب ، العذاب على وجهه .. وأضعاف عذابه كان عذاب النحلة ..

عذاب امرأة جميلة غدت مُشوهة ببشاعة ..

وعذاب أم فقدت جنينها ..

وعذاب زوجة نُكبت فى زوجها ..

عذاب لو صُب على جبلٍ لتهاوى متصدعًا فى مكانه .

ولكن النحلة لم تتهاو ، ولم تتصدع .. بل فوجئ بها الجميع تسترد صلابتها ورباطة جأشها بسرعة مذهلة .. ثم ما لبثوا أن اكتشفوا أنها لم تستردهما إلا من أجل زوجها حبيبها .. اكتشفوا ذلك وهم يرونها تبذل كل ما يمكن أن تبذله زوجة محبة نبيلة مع زوجها فى محنة كهذه . وكأنها لم تقاسمه المحنة بنصيب أوفر حظًا من نصيبه .. وكأن فجيعتها فى نفسها لا تفوق فجيعته أضعافًا مضاعفة .. وكأن كل خلية من خلاياها لا تحترق عذابًا وتوجعًا وذهولاً .. كأنها لا تعانى شيئًا من هذا كله بالمرة .. انطلقت تهوّن عليه مصيبته .. توقظ فيه إيمانه بالله .. تستنفر فيه صلابة الرجال .. تضىء فيه ذلك الأمل الذى منحه

له الأطباء بإمكانية استرداده لبصره ، بعدما تأكد لهم سلامة مراكز الإبصار فى مخه ، وعدم تأثرها بالحادث ..

هكذا مضت الزوجة المحبة النبيلة تفعل بزوجها بكل ما أودعه الله فى قلبها من حب ومن نبل ومن حنان .. مضت تزيل سواد محنته من فوق قلبه ، بينما مصيبتها هى تشوى قلبها بأضعاف عذابه ..

* * *

الفصل الثانى عشر

- صباح الخير يا بابا ..

بادرت بها النحلة اللواء (نور الدين) ، وهى تتقدم منه متأبطة ذراع زوجها الحبيب - صارت دليله الذى لا يفارقه لحظة .. أسرع اللواء يطوى الصحيفة التى فى يده ، ويضعها أمامه على المنضدة ، ناهضًا لاستقبالهما :

- صباح الفل يا حبيبتى .

وأسرع يأخذ بيد (ماجد) ، ليجلسه إلى جواره وهو يقول :

- صباح الخير يا (ميجو) .

- صباح النور يا باشا .

وجلس ثلاثتهم فى مقاعد طاقم البامبو الذى يتوسط (الفيلا الملونة) .. ما عادت ملونة فى عينى النحلة ، وما عادت منظورة من الأصل لـ (ماجد) .. لحظة ، وأقبلت الدكتورة (بثينة) بأناقتها الرصينة ، وخفة ظلها قائلة :

- صباح الخير يا قوم .

وقبلت النحلة ، وجلست إلى جوارها ، مداعبة (ماجد) :

- ما الحكاية يا (ميجو) ؟

وكان تساؤل (ماجد) بجهامته التى صارت كساء وجهه ونبرته :

- ماذا يا دكتورة ؟

- المصريون جميعهم ينحلون وأنت تسمن !

وكان رد (ماجد) فى غمٍّ :

- ينحلون من الحركة يا دكتورة .

وكان رد الدكتورة بنفس مزاحها :

- بل من الحسرة على حالهم وأنت الصادق .

- إذن فليلتفتوا ويروا حسرتى .

وجاءه الرد سريعًا عاتبًا من نحلته :

- حسرتك وأنا معك يا (ميجو) ؟!

فكان اعتذاره بجهامته :

- أنا آسف يا حبيبتى .

وصب اللواء (نور الدين) الشاى، وأخذ بيد (مـاجد) ، واضعًا فيها فنجانه، وهو يداعبه :

ـ شايك الوصاية يا برنس .

ـ شكرًا يا باشا .

وناول اللواء النحلة والدكتورة (بثينة) شايهما، وأخذ رشفة من شايه، ثم رفع عينيه إلى (ماجد) قائلاً :

ـ (ميجو) ، الأسبوع القادم سيصل الدكتور (سيدني أوسنار) طبيب العيون العالمى بمستشفى (باراكير) الأسبانى إلى مستشفى (المغربى) لفحص عدد من الحالات .. فما رأيك فى أن يراك ؟

لم يبد على (ماجد) أى تأثر بما سمع، بل حرك رأسه يمينًا ويسارًا فى تضجر ، وكأن ما سمعه شيئًا مملاً، فما كان من النحلة إلا أنها أسرعت تستدرك الموقف بتساؤلها فى حماس :

ـ وهل هذا ممكن يا بابا ؟

التفت إليها اللواء (نور الدين) ببشاشته :

ـ الدكتور (أحمد المغربى) صديقى، وهو ينتظر موافقتنا على الحجز .

وجاء رد النحلة فورًا وبمنتهى الحماس :

ـ طبعًا موافقون يا بابا .. أبلغه بأننا موافقون .

وكان رد الرجل بطيبته :

ـ حاضر يا حبيبتى .. سأبلغه .. وربنا يقدم ما فيه الخير ..

* * *

تسعة أيام وكان للطبيب العالمى يفحص (ماجد) ، ثم كان رأيه :

ـ يمكنك أن ترى بعينين سليمتين .

ولم يفهم (ماجد) ولا النحلة ولا والديها ما يعنيه الطبيب العالمى، فتطوع الدكتور (أحمد المغربى) المرافق له بتفسير الأمر :

ـ تأكد للدكتور (أوسنار) أن مراكز الإبصار فى المخ سليمة تمامًا، وهذا يعنى أن الإعاقة تنحصر فى العينين، وبالتالى فإنه يمكن استبدالهما بعينين سليمتين .

فوجئ (ماجد) ومرافقوه الذين سارعوا يتبادل نظرة دهشة، ووجدت النحلة نفسها تسأل الطبيب المصرى بدهشتها العاصفة :

ـ هل قلت سيادتك أنه يمكن استبدالهما ؟!

ـ نعم .

ـ كيف يا دكتور ؟!

ـ بجراحة يجريها الدكتور (أوسنار) .

وجاء تساؤل اللواء (نور الدين) بدهشة تفوق دهشة ابنته :

ـ وهل سبق أن أجراها فعلاً ؟!

ـ أربع مرات .

وجاء سؤال الدكتورة (بثينة) :

ـ ونجحت كلها يا دكتور ؟!

ـ نعم يا دكتورة .. نجحت كلها .

وهنا تكلم (ماجد) لأول مرة !

ـ وهل عادت إلى الحالات الأربع أبصارهم ؟

وكان رد الدكتور بمنتهى التأكيد :

ـ نعم .. عادت لهم أبصارهم .

وكفت التساؤلات ..

وأطبق الصمت ..

نعم الصمت ..

صمت الدهشـة الهيستيرية لهذا الأمل الذى هبط عليهم فجـأة بوجهه كقبس من السماء ..

صمـت جميـل لـم يقطعـه سـوى الدكتـور (أوسـنار) قـائلاً لـ(ماجد) ورفقته بواسطة الطبيب المصرى :

ـ سنبدأ بعين واحدة .. ابحثوا عن متبرع بها .

هنا أفاقت الأسرة من غمرة دهشتها ، لتجد نفسها أمام السؤال المُحبط ، والذى لم يستطع اللواء (نور الدين) منعه فقال :

ـ ومن هذا الذى يقبل أن يتبرع بعينه ؟

وجاءه جواب الطبيب العالمى بحكم خبرته :

ـ هناك مرضى ومصابو حوادث ميئوس من شفائهم ، وعيونهم سليمة .

ـ وهل هذا يعنى استعدادهم للتفريط فى عيونهم ؟

وإذا برد الطبيب العالمى بتلقائية :

ـ بالمال يا جنرال .

وكان رد اللواء وكأنه فوجئ بسذاجة الرجل :

ـ أنت فى (مصر) يا دكتور ..

ثم استطرد وكأنه يلقنه درسًا :

ـ لا أحد فى (مصر) يفرّط فى عينه ، ولو بكنوز الأرض مجتمعة ، وأيضًا لو كانت إحدى قدميه داخل القبر ، والأخرى خارجه ..

* * *

الفصل الثالث عشر

إعلان بارز فى الصحف الثلاث .. الأهرام والأخبار والجمهورية .. و فى الإنترنت ، يطلب متبرعًا بإحدى عينيه مقابل ربع مليون جنيه ..

وسبعة وأربعون يومًا مضت دون مستجيب ..

وفى اليوم الثامن والأربعين جاءت (مى) .. منذ الحادث لم تنقطع زياراتها لصديقيها .. ولكنها فى هذه المرة لم تكن بمفردها .. كان بصحبتها شاب مهندم فى الثلاثينيات من عمره ، قدمته إلى صديقيها قائلة :

ـ الأستاذ (عزت مندور) المحامى ، قريبى من (المنيا) .

رحب به الزوجان بنفسيتهما المطفأة ، وجلسا إليه هو و(مى) يخيّم عليهما جو نفسى خانق لم تنجح عبارات الترحيب الودود من الزوجين فى فكه .. وجاءت الخادمة بالعصائر التى طلبتها (داليا) .. وضعتها بينهم وانصرفت ، فراحت (داليا) توزعها على الضيفين وزوجها ..

مع ارتشافهم العصائر عاد إليهم صمتهم الخانق مجددا ، فإذا بـ (مـى) تلتفت إلى قريبها ، متبادلة معه نظرة استئذان ، ثمّ تعاود النظر إلى مضيفيهما ، قائلة :

- الأستاذ (عزت) جاء بشأن الإعلان .

كادت كأسا العصير تسقطان من يدى الزوجين ، فسارعت الزوجة بوضع كأسها أمامها على المنضدة ، ثم بأخذ كأس زوجها من يده ، لتضعها أمامه ، ثم التفتت إلى المحامى الشاب متسائلة بمنتهى اللهفة :

- هل وجدت متبرعا يا أستاذ (عزت) ؟

- أنا يا (داليا) هانم .

أسرعت (داليا) تمسك بيد زوجها ، وهى تهتف فى المحامى :

- حضرتك ؟!

وجاءها الرد :

- نعم يا أفندم .

وجدت (داليا) نفسها تلتفت إلى (مى) بعينيها المملوءتين بالدهشة والتساؤل ، فكان رد (مى) على نظرتها باطمئنان :

- الأستاذ (عزت) مستعد لإجراء العملية ..

عادت (داليا) تنظر إلى المحامى الشاب مفتشة فى طيات ملامحه .. بدا واضحًا أنه جاء حاسمًا أمره ، ولكن الأمر ليس هينًا ، و الاطمئنان إلى قدرة هذا الشاب على التنفيذ لا يأتى هينًا .. وجدت نفسها تلتفت إلى زوجها وهى تضغط يده فى يدها ، فإذا بسحنته تعكس ارتيابًا يفوق ارتيابها .. إنه الآن أكثر أهل الأرض دراية بقيمة نعمة البصر ، فكيف له أن يصدق بهذه السهولة أن هناك من يستطيع التفريط فى هذه النعمة ولو بكنوز الأرض مجتمعة ؟! كيف يصدق هذا ؟! وجد نفسه يسأل المحامى الشاب بكل ما بداخله من حيرة بين الريبة والاطمئنان :

- أستاذ (عزت) .. هل فكرت جيدًا ؟

وجاءه الرد باطمئنان عجيب :

- نعم يا باشا .. فكرت .

- وهل تدرك جيدًا ما ستتبرع ؟!

- سأتبرع بعينى .

- وستعيش بعين واحدة ؟!

وإذا بالرد :

ـ يا (ماجد) باشا . بالربع مليون جنيه سوف أرى بعين واحدة ما لم أستطع رؤيته بعينى الاثنتين وأنا فقير .

* * *

ثلاثة أيام متواصلة من الفحوص الشاملة للمحامى الشاب بمستشفى (المغربى) . انتهت بإقرار الدكتور (أوسنار) بصلاحيته لإجراء العملية ، وبقراره بإجرائها باكرًا .. وعاد المحامى الشاب إلى غرفته فى المستشفى ليقضى ليلته الحاسمة .. كانت غرفته تقع فى نهاية (كوريدور) الطابق الأول بالمستشفى ، بينما غرفة (ماجد) تقع فى بدايته ، فإذا بالنحلة تأتى بمقعد لها وتجلس أمام غرفة المحامى ، لا غرفة زوجها .. وفوجئ أبواها بتصرفها ، ولكنهما سرعان ما فهما ، فأسرعا يفعلان ما فعلت ، ولحق بهم الحاج (حسين) وابنته ، حيث جلسوا جميعًا أمام الغرفة مسلطين عيونهم عليها ، وكأنهم يحرسون ساكنها .. وقد كانوا فعلاً يحرسونه .. يحرسونه من استيقاظ عقله ولو لحظة .. لحظة تعقل واحدة منه الآن كافية لأن تجعله يقفز من خلف هذا الباب مذعورًا متراجعًا ، منطلقًا من

حيث أتى ، ولا أحد يستطيع إيقافه ، ولا أحد يستطيع أن يلومه ، ولا أحد يملك إلا أن يدعو الله بأن يهدئ قلبه ..

ساعات الليل الفاصلة تزحف مقتربة من اللحظة الحاسمة .. لحظة استسلام صاحبنا لمشرط الطبيب العالمى .. وكلما دنت هذه اللحظة تسارعت دقات القلوب الحارسة العالقة بالأمل ، حتى دقت التاسعة صباحًا .. وأقبلت ممرضتان على الغرفة لاصطحاب ساكنها إلى غرفة العمليات .. فتحتا الباب لتتسمران فى مكانيهما ومن خلفهما تسمر حراس الغرفة ، وقد توزعت نظراتهم الذاهلة بين الفراش الخالى ، والنافذة المفتوحة على مصراعيها ..

فر المتبرع !!

* * *

وكانت القاضية لـ (ماجد) ..

نسفت آخر ذرة فى تماسكه ، وهوت به فى برزخ الانهيار الفاصل بين العقل والجنون ، فما عاد يُعرف إذا ما كان عاقلاً أم مجنونًا ، فهو تارةً غارق تمامًا فى صمته الذاهل ، حتى يبدو وكأنه فقد سمعه ونطقه وجملة حواسه ، وتارة أخرى يملأ الفيلا صراخًا جنونيًا مفزعًا لأسباب لا تكاد تُذكر من تفاهتها ..

وأسقط فى يد العائلـة الأرسـتقراطية التـى عاشـت عمرهـا لايُسمع لها صوت .. وضرب الذهول الزوجة الشابة وهـى ترى زوجها حبيبها ينزلق فوق منحدر الجنون باندفاع مُفزع، وكأنـه لم تكفه نكبة العمى حتى تأتيه نكبة الجنون ..

ما هذا ؟!

أيمكن أن تكون هذه هى نهايته حقًا ؟!

العمى .. والجنون ؟!!

أيمكن أن يكون هذا هو مصير (ماجد) ؟!

مصير (ميجو) ؟!

فتى النحلة الساحر الذى كان حتى الأمس القريب يملأ دنياها فرحة وفخرًا وبهاءً وإشراقًا ؟!

أيمكن أن يكون هذا مصيره ؟

العمى .. والجنون ؟!

أيمكن أن يحدث هذا ؟!

لا .. لا .. ومليون لا ..

وجدت نفسها تنطلق إليه بقلبها المشقوق عذابًا .. كان كعادته جامدًا فى مقعده بالحديقة رغم تجاوز الساعة العاشرة ليلاً، ورغم برودة الجو .. نزلت أمامه على ركبتيها محتضنة يديه وهى تحلق بنظراتها المرتاعة على وجهه .. كان ما بداخلها أشبه بالزلزال المنفجر، فإذا بها تكتمه بقوة عجيبة، وإذا بنبرتها مفعمة بالنعومة و الابتهاج وهى تقول له :

- حبيبى .. قبل زواجنا، وذات لقاء لنا فى الـ (سولنترو) حدثتك عن أمنية غالية لى .. أتذكرها ؟

لم يتحرك لحبيبها ساكن، فلم تملك إلا أن تجيب سؤالها بنفسها :

- تمنيت يومها أن أهديك إحدى عينىّ كى ترى بها الحياة كما أراها .

تحرك انتباه (ماجد) :

- ماذا تريدين أن تقولى يا (داليا) ؟

- أريد أن أقول إنه آن الأوان لتحقيق أمنيتى الغالية .

فهم .. فهم فانتفض واقفًا هاتفًا بغضب :

- (داليا) !

وقفت ممسكة بذراعيه :

ـ عيون (داليا) .

ـ كيف تفكرين في هذا ؟

ـ أنا لم أفكر يا حبيب روحى .. أنا تمنيت . ولـم يشـأ ربـى أن يحرمنى أمنيتى .

ـ هذه أمنية مجنونة لا يرضاها الله أبدًا .

ـ بل كل ما حدث يا حبيبى يؤكد أن الله شاء أن يسعدنى بها ، فلا تحرمنى أنت منها .

أطبق عليه ذهوله وهو يقول :

ـ مستحيل .. مستحيل أن يحدث هذا .

غمرتها ملائكيتها وهى تسأل :

ـ لماذا مستحيل يا حبيبى ؟

انفجر صراخه :

ـ لأنك تتكلمين فى عين يا (داليا) .. تتكلمين فـى عين .. عين من عينيكِ .. عين ستدمر جمـالك .. ستجعلك عـوراء .. نعم ستبصرين بعين واحدة ، ولكن كيف سيكون شكلك بهذه العين الواحدة ؟

وجاءه الرد سريعًا :

ـ سيكون أجمل شكل فى عين حبيبى .

ـ والناس ؟!

ـ أنت الناس يا حبيبى .. أنت عندى كل الناس .. بل كل الحياة ..

كاد صوته يحتبس في حلقه من بطش انفعاله :

ـ هذا صوت عاطفة عمياء يا حبيبتى .. هذا صـوت عاطفـة عمياء .

وجاءه الرد صادقًا من القلب :

ـ بالعكس يا حبيبى .. بالعكس .. هذا صوت عاطفة بصيرة ..

الناس يصـفون الإنسان عديم الإحساس الـذى لا يشعر بآلام وأفراح غيره بأنه أعمى القلب .. وأنـا الآن أقاسمك آلامك مثلمـا قاسمتك أفراحك فى أيامنا الحلوة ، ولا معنى لهذا سوى أن قلبـى بصير وعاطفتى بصيرة .

وانقطـع صوت الزوجـة الملائكيـة .. قطعتـه دموعها المالحـة التى اخترقت شفتيها دون ترفق ، بينما غرق الزوج المنكوب فى صمته الذاهل ، وفـى دوامـة تياراتـه النفسـية العنيفـة التـى تكـاد

تعصف بعقله .. دوامة جعلته يسمع صوت زوجتـه وكأنـه يأتيه من بطن فجٍّ عميق وهى تتوسل إليه بالدموع :

ـ يا حبيبى .. أنا الآن لدىّ عينـان اثنتـان . ولكننى شقية بتعاستك ، فما نفعهما إذن ؟

يا حبيبى دعنا نسترد معًا ولو بعضًا من سعادتنا قبل أن يقتلنا هذا الشقاء الذى لا تحتمله جبال ..

يا حبيبى إن كانت أقدارنا قد قست علينا ، فليس من العقل أبدًا أن نقسو نحن أيضًا على أنفسنا ..

دعنا يا حبيبى ..

دعنا نسترد ولو نفسًا واحدًا من أنفاس الحياة ..

دعنا ..

فقد يجلب لنا هذا النفس معه كل أنفاس الحياة ..

فلا تقتل الأمل يا حبيبى ..

أتوسل إليك ..

لا تقتل الأمل ..

* * *

الفصل الرابع عشر

ـ ماذا تقولين ؟!

بمنتهى الذهول والعصبية انطلقت صرخة الدكتورة (بثينة) فى (داليا) وهى تنتفض واقفة من مقعدها ، حيث كانتا ومعهما اللواء (نور الدين) يجتمعون فى البيت الكبير الذى يتصدر عزبة (سليم أباظة) والد الدكتورة (بثينة) الراحل ، والذى يُعَد من أكبر وأعرق بيوت الشرقية ، والذى كان دومًا واحة استجمام للنحلة وأبويها ، ولكن هاهو حاله يتبدل ، ويشهد موقفًا عصبيًا لم يشهده من قبل على امتداد تاريخه ، وهاهى صاحبته أيضًا يتبدل حالها ، فتتحول إلى كتلة عصبية ساخطة ، بعدما كانت كتلة مرح وطيبة على مدى عمرها ، وهاهى تردف صارخة فى ابنتها بمنتهى السخط :

ـ ألهذا جئت بنا إلى هنا ؟!

وكان رد (داليا) فى ألم وهى تنهض أيضًا من مقعدها :

ـ اهدئى يا ماما من فضلك .

ولم تهدأ الدكتورة ؛ بل استشاطت أكثر :

ـ أهدأ ؟! أتخبرينني بأنك ستقلعين عينًا من عينيك وتطلبين منى أن أهدأ ؟!

وكاد عقلها يشط منها ، فأسرعت تهتف فى اللـواء (نـور الدين) :

ـ (نور) باشا ! هل سمعت ما قالته ابنتك ؟!

كان الرجل ساكنًا فى مقعده . وقد انكفأ بوجهه على كفّيه ذهولاً مما يفعله به قدره ، ولم يتحرك له ساكن . وكأنه لم يسمع صراخ زوجته ، مما جعلها تعاود صراخها فيه :

ـ (نور) ! ارفع وجهك عن يديك وكلمنى !

ورفع الرجل وجهه عن يديه ، ورفع عينيه إليها بنظرة تمزق القلب . نظرة احتشدت فيها كل عذابات البشر . ثم تحـول بنظرته إلى ابنته . فأسرعت تنزل على ركبتيهـا أمامـه . ممسكة بيديـه ، قائلة له بصوت باكٍ :

ـ أعلم يا بابا .. أعلم أن ما أقوله هـذا يبدو وكأنه ضرب من الجنون ، ولكنه فى الحقيقة غير ذلك يا بابا .. إنه حب وواجب ، وليس جنونًا .

وانفلت تساؤل الدكتورة (بثينة) بمنتهى السخط والسخرية :

ـ حب وواجب ؟!

وكان رد الابنة بمنتهى الأدب :

ـ نعم يا ماما .. حب وواجب ، وحضرتك وبابا اللذان غرستما الاثنين فىّ .

ـ ما الذى غرسنا فيكِ يا مختلـة ؟! غرسنا فيكِ استعدادك لأن تقلعى عينًا من عينيك لتمنحيها لإنسان آخر ؟!

ـ هذا الآخر هو زوجى يا ماما .. زوجى .. هل نسيت درسك المقرر علىّ عن حقوق الزوج على زوجته ؟ هل نسيت ما كنتِ ترددينه دومًا على مسامع بابا عن استعدادك لأن تفتديه بروحك إذا ما اقتضـى الأمر ؟ فلمـاذا تستكثرين علىّ أن أفتدى زوجـى بعين من عينىّ وليس بروحى ؟

وبُهتت الأم ، بينمـا أسرعت الفتاة تعاود الالتفـات إلـى أبيهـا ، مردفة له بمنتهى الرجاء :

ـ بابا .. حضرتك ضابط جيش ، قضيت جُلّ عمرك على استعداد لأن تفتدى الوطن بروحك ، فلمـاذا يا بابـا ؟ لمـاذا كنـت ومـازلت على استعداد لأن تفعل ذلك ؟ أليس ذلك بدافع الحب والواجب ؟

وكان جواب الرجل لوحيدته وقلبه يتمزق بسببها :

ـ الموقف هنا يختلف يا بنتى .. إنك هنا لا تضحين من أجل الوطن .

ـ أضحى من أجل زوجى حبيبى يا بابا ، وحضن زوجى هو وطنى .

وإذا بالدموع الأبية الغالية تنسلب من أجمل عينين فى الكون ، وإذا بأنبل مخلوقة على ظهر الأرض تردف قائلة لأبويها بالدموع :

ـ صدقنى يا بابا .. صدقينى يا ماما .. حضن (ماجد) هو وطنى .. وطنى الذى يمنحنى الحياة .. فهل كثير على وطنى الذى يمنحنى الحياة أن أفتديه بعين من عينى ؟

وأسقط فى أيدى الأبوين ، ووجد نفسيهما ينظران إلى بعضهما البعض ، وقد عجزا عن التفوه ببنت شفة ، ولكن قلب الأم لم يكن أبدًا لتهون عليه شعرة واحدة من ضناها .. أسرعت الدكتورة (بثينة) تنفض عنها تأثرها الذى غشاها لوهلة ، وأسرعت توقف ابنتها بين يديها ، ناظرة طويلاً فى وجهها ، قبل أن تقول لها بنبرة اختفت منها العصبية تمامًا لتحل محلها الشفقة والرجاء :

ـ يا بنتى ، بطريقتك هذه لم يعد أمامى سوى أن أصارحك بما تفجر فى نفسى من لحظة أن كشفت عن نيتك هذه ، وكنت أجاهد فى كتمانه حتى لا أجرحك .

أسرعت (داليا) تتبادل نظرة الدهشة مع أبيها ، ثم عادت تسأل أمها بحجم دهشتها :

ـ وما يكون هذا يا ماما ؟

ـ أنت تريدين أن تعطى عينك لـ (ماجد) كى يرى بها .

وجاءها الرد بلا تردد :

ـ نعم يا ماما .. نعم .

ـ أتعلمين ما هو أول شىء سوف يراه ؟

وفهمت (داليا) ..

فهمت فارتجت ..

ولكن الأم ما كانت لتتراجع ؛ بل مضت فى حديثها بمنتهى الثبات ، كجراح لم يعد أمامه سوى غرس مشرطه فى جسد مريضه كى ينقذه من الهلاك :

ـ أول ما سيراه يا بنتى هو وجهك !

كـادت آهـة (داليـا) تنطلـق مـن أعمـق أعماقهـا وهـى تسـرع بإخفاء وجههـا بيديها . بينمـا انتفض الأب واقفًا ، هاتفًا فى زوجته بمنتهى الغضب :

ـ (بثينة) !!

ولكن الأم لم تهتز ، وكل ما فعلته أن التفتت إلى زوجها بنظرة اعتذار ، ثم عادت تنظر إلى ابنتها مردفة :

ـ يا بنتى .. لا أنا ولا أنتِ ولا أى مخلوق فى الكون يمكنه أن يشك لوهلة فى رحمة ربنا ، إنه حتى فى ابتلائه لنا دائمًا يكون رحيمًا بنا .. وقد يحدث أن يبتلينا بمكتوبٍ ما ، نراه نحن شرًا بينما هو خير ورحمة ، وهذا هو بالضبط ما حدث معكِ فى هذا الموقف .

وانقطع حديث الأم لوهلة ، وبدت وكأنها تعانى صعوبة جمة فيما تريد أن تفصح به ، ولكنها فى النهاية لم يكن أمامها سوى الإفصاح ، فمضت مردفة لابنتها :

ـ ألم تتوقفى يا بنتى للحظة مع نفسك لتعرفى لماذا أعمى الله (ماجد) فى هذا الموقف ؟ ألم تستطيعى ببصيرتكِ أن تتبينى أن الله فعل ذلك به رحمة بكِ أنتِ ؟

فوجئت (داليا) ، وفوجئ أبوها أكثر منها ، بينما مضت الأم مردفة بقناعتها العجيبة :

ـ نعم يا بنتى .. لقد أعماه الله حتى يظل بين يديكِ ولا يحرمك منه .

وفغر فاه الابنة من الذهول ، وإذا بالأم تنهيها بالدموع :

ـ فى اليوم الذى سيبصر فيه (ماجد) يا (داليا) ستفقدينه .. ستفقدينه يا بنتى !!

* * *

الفصل الخامس عشر

كل أبواب جهنم انفتحت داخل المسكينة وهى تنطلق بسيارتها عائدة إلى فيللا (أكتوبر) تطاردها قذائف أمها كشهب من نار :

- (أول ما سيراه يا بنتى هو وجهك)

(لقد أعماه الله حتى يظل بين يديكِ ، ولا يحرمكِ منه)

(فى اليوم الذى سيبصر فيه سوف تفقدينه)

قذائف ..

قذائف من نار توشك أن تصرع عقل المسكينة وهى تنطلق بالسيارة على الطريق دون أن تُبصر شيئًا من معالمه ، ودون إحساس بقدمها على دواسة البنزين ، ولا بقبضتيها المتخشبتين على (الدريكسيون) ، ولا بوجودها من الأصل داخل السيارة .. ستر الله وحده هو الذى أوصلها إلى الفيللا سالمة ..

اندفعت ركضًا إلى (ماجد) فى غرفته .. وجدته كما تركته فى الصباح ، جامدًا فى مقعده بعذابه المصلوب على وجهه .. توقفت بباب الغرفة ، وتوقفت عيناها عليه فى تساؤل ذاهل يدوّى بداخلها ، ولكنه لا يجرؤ على الخروج من فمها :

(تُرى هل ما قالته ماما حقيقة يا (ماجد) ؟ هل سيكون أول ما ستراه هو تشوّه وجهى ؟ ألن ترى سوى وجهى يا (ماجد) ؟ ألن ترى حب نحلتك لك ؟ ألن ترى فرحتها بعودة النور إلى عينيك ؟ ألن ترى قلبها قبل وجهها ؟ ألن ترى كل هذا يا حبيبى ؟ وهل يمكن أن تتركنى حقًا يا (ماجد) ؟ هل يمكن أن تترك نحلتك حبيبتك ؟ هل يمكن أن يحدث هذا ؟

أجبنى يا حبيبى .. أجبنى .. طمئن قلبى .. طمئن قلب نحلتك حبيبتك يا (ميجو) .. طمئنه .. طمئنه .

ولم تنتبه الفتاة الملائكية إلى أنها تقترب من حبيبها بجهنمها المتقدة بداخلها ، حتى جاءها سؤاله :

- مَن هنا ؟

أسرعت تأخذه فى حضنها قائلة :

- أنا يا حبيبى .

- لماذا تأخرت يا (داليا) ؟

- آسفة يا حبيبى .. آسفة .

ومالت على يده تقبلها ، ثمّ أردفت قائلة :

- حالاً سيكون العشاء جاهزًا يا حبيب روحى .

- أشعلى لى سيجارة أولاً .

- حاضر يا حبيبى .

وأسرعت بتناول علبة سجائره من فوق (الكومودينو) ، ووضعت له سيجارة بين شفتيه وأشعلتها ، ثم عادت تقول له :

- قبل أن تفرغ من سيجارتك سأكون قد وضعت العشاء .

ووضعت قبلة أخرى على يده ، ثم نهضت مغادرة الغرفة ، ولكنها قبل أن تخرج من بابها وجدت نفسها تتوقف ملتفتة إليه بنظرة ، لو أبصرها لذاب قلبه إشفاقًا عليها ..

* * *

وزحفت ساعات الليل ..

وليل الشتاء فى مدينة (6 أكتوبر) غول قاس ، ما إن يحل بالمدينة حتى يفر أهلها جميعًا إلى مضاجعهم من ضراوة صقيعه ، تاركين شوارع وطرقات مدينتهم مهجورة كدروب الفيافى الموحشة .. ولكن العميد (محمد جبر) مأمور شرطة المدينة فوجئ بهذه التى تتمشى بمفردها على طريق (المحور) الذى يشطر المدينة نصفين .. كانت الساعة قد جاوزت الثانية صباحًا ، والطريق الضخم خالٍ تمامًا من أى أثر للحياة إلا من البرد القارص ، الذى لا تحتمله عظام . فما الذى تفعله هذه الشاردة فى هذا الجو ؟! وفى هذه الساعة ؟!

وجد نفسه يأمر الجندى الذى يقود السيارة بالتوقف ، ويسرع بالنزول إلى الفتاة ليستوقفها ، وما كاد يفعل حتى انطلقت منه هتفته الدهشة :

- (داليا) !

إنه صديق حميم للواء (نور الدين) ، ويشابهه فى وسامته الساحرة وبشاشته ورقيه ، حتى إن (داليا) أطلقت عليه (نور2) ، وكثيرًا ما كانت تناديه بها بحميمية وحب جعلاها تسكن قلب الرجل ، ومن هنا كانت فزعته عليها عندما فوجئ بها هكذا ، ووجد نفسه يسرع بأخذها بين يديه ، متسائلاً بمنتهى الدهشة :

- ما هذا يا حبيبتى ؟! فى الشارع ؟! وفى البرد ؟! وفى هذه الساعة ؟!

ولم تجبه النحلة المسكينة ببنت شفة ، فقط تعلقت عيناها الدامعتان بعينيه فى نظرة شطرت قلبه من جبروت عذابها .. بدت كقطة مروعة .. روّعها قدرها بغير رحمة .. أسرع بأخذها إلى السيارة ، آمرًا الجندى السائق بالعودة إلى مكتبه .. وفى لحظات كان يجلسها أمامه فى المكتب ، ويضع فى يدها كوب (ينسون) ساخن ، قائلاً لها بمنتهى الحنو :

- اشربى يا حبيبتى .. اشربى واهدئى ، ثم أخبرينى بما فيك .

وشربت النحلة المسكينة ..

وأخبرته ..

أخبرته بصراط جهنم التى وضعها قدرها فوقه ، فكانت صدمة الرجل التى أطفأت وجهه ، وجعلت عينيه تتسمران على وجه الفتاة بمنتهى الإشفاق ، حتى وجد نفسه يقول لها :

ـ يا له من موقف يا بنتى !

وعاد يتأملها بإشفاقه الجم لوهلة أخرى ، ثُمّ أردف بـلهوة صادقة :

ـ يا بنتى ، فى مثل هذه المواقف ليس لنـا ملاذ سوى المولى عزّ وجل .. اقصديه يا حبيبتى .. اقصديه وسوف يدركك برحمته .

* * *

أذان الفجر يرتفع مؤكدًا الوجود الأبدى للرحمن الرحيم ..

و(داليا) تقف فوق سجادة الصلاة فى غرفتها .. واضعـة نفسها بين يديه ..

وبخشوع يكاد يدانى خشوع الملائكة سجدت بين يديه ..

وطالت سجدتها ..

طالت حتى سقطت دموعها على السجادة ..

وبالدموع ختمت صلاتها ..

وبالدموع التفتت إلى زوجها الذى كان لا يزال جامدًا فى مقعده ، لتتأمله بنظرة طويلة ، ثم تقول له بمنتهى الاطمئنان والرضا :

ـ حبيبى .. أنا جاهزة للعملية .

يتبــع

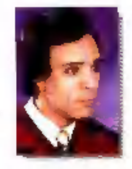
فوزى عوض

Fawzy_awad2001@yahoo. com

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

دموع السماء

هذا الآخر هو زوجى يا ماما ..
زوجى .. هل نسيت درسك المقرر علىّ
عن حقوق الزوج على زوجته ؟! هل نسيت
ما كنت ترددينه دوما على مسامع بابا عن
استعدادك لأن تفتدينه بروحك إذا ما
اقتضى الأمر ؟! فلماذا تستكثرين علىّ
أن أفتدى زوجى بعين من عينىّ
وليس بروحى ؟!!

111

الثمن فى مصر 300
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



